موسوعة الأخلاق

الجزء الثامن

الصِّدْق - الصَّمْت - العَدْل

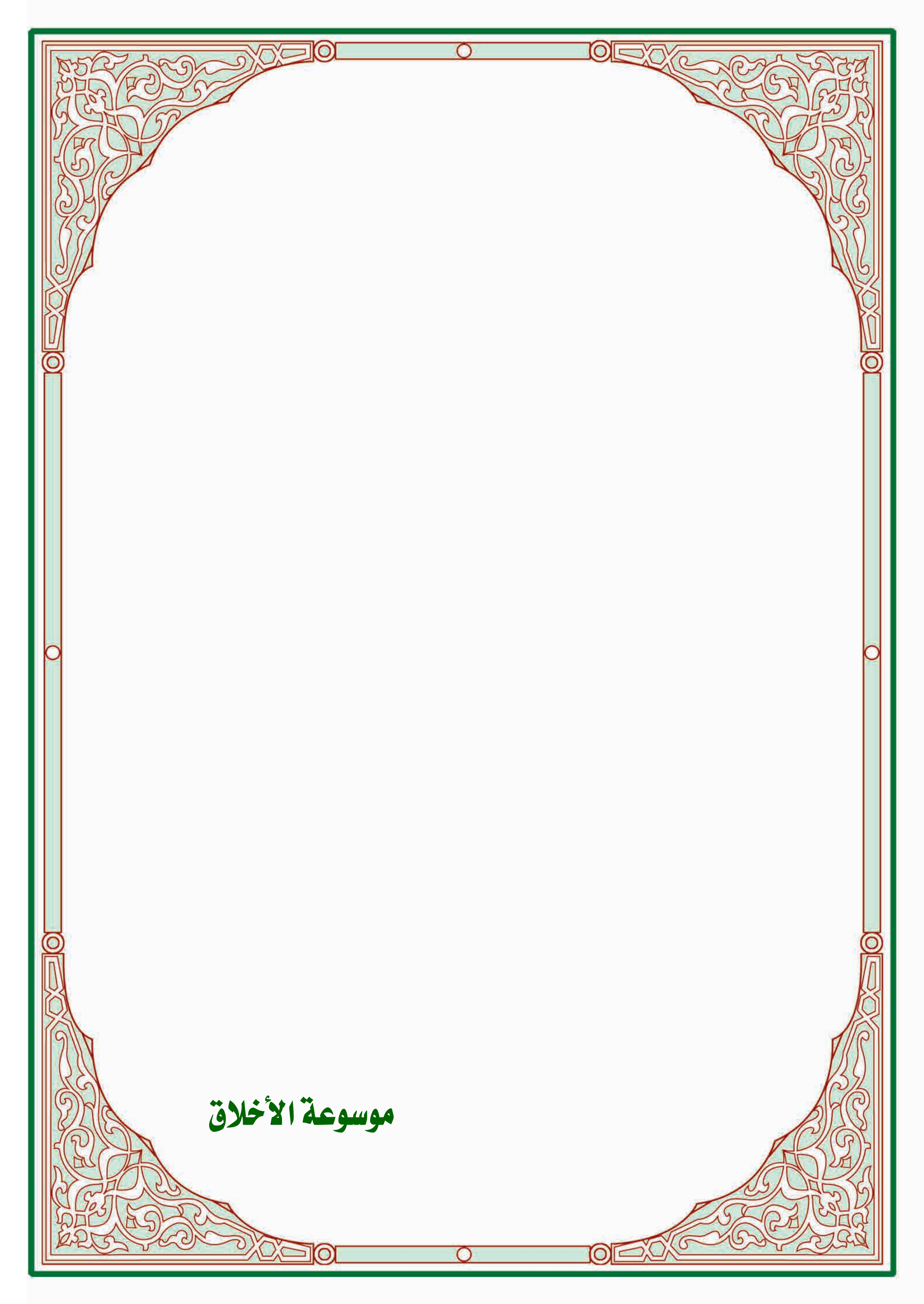
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

عَلَوِيّ بن عبدِ القادرِ السَّقَّاف




موسوعة الأخلاق



موسوعة الأخلاق

الجزء الثامن

الصِّدْق - الصَّمْت - العَدْل

إعداد

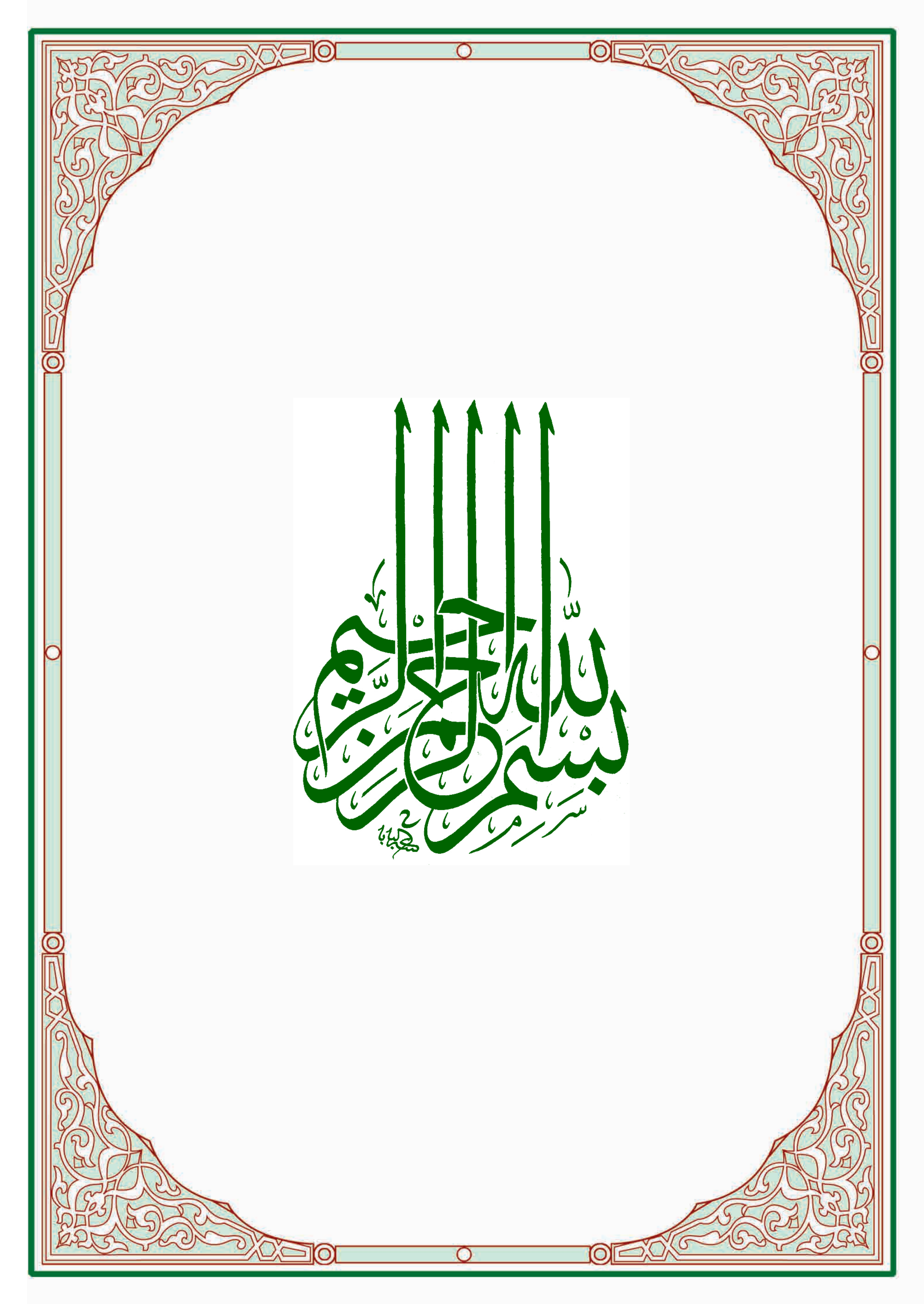
القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

علوي بن عبد القادر السَّقَّاف

الدُّرَرُ السَّنِيَّة

www.dorar.net


بسم الله الرحمن الرحيم



الصِّدْق



الصِّدْق

معنى الصدق لغةً واصطلاحًا:

• معنى الصدق لغةً:

الصدق ضدُّ الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا وصِدْقًا وتَصْداقًا، وصَدَّقه: قَبِل قولَه، وصدَقَه الحديث: أَنبأَه بالصِّدْق، ويقال: صَدَقْتُ القوم. أي: قلت لهم صِدْقًا وتصادقا في الحديث وفي المودة[1].

• معنى الصدق اصطلاحًا:

الصدق: (هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب)[2].

وقال الباجي: (الصدق الوصف للمخبَر عنه على ما هو به)[3].

وقال الراغب الأصفهاني: (الصدق مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا)[4].

الفرق بين الصدق وبعض الصفات:

• الفرق بين الحقِّ والصدق:

(الحق في اللغة: هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، من حقَّ الشيء يحقُّ إذا ثبت ووجب. وفي اصطلاح أهل المعاني: الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال، والعقائد، والأديان، والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل.

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٠/١٩٣)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ١٧٤).

(٢) ((الواضح في أصول الفقه)) لابن عقيل (١/١٢٩).

(٣) ((إحكام الفصول)) للباجي (ص ٢٣٥).

(٤) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب الأصفهاني (ص ٢٧٠).

وأما الصدق، فقد شاع في الأقوال خاصة، ويقابله الكذب.

وقد يفرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق: من جانب الواقع، وفي الصدق: من جانب الحكم.

فمعنى صدق الحكم: مطابقته للواقع.

ومعنى حقيته: مطابقة الواقع إياه، وقد يطلق الحق على الموجد للشيء، وعلى الحكمة، ولما يوجد عليه، كما يقال: الله: حق، وكلمته: حق)[١].

- **الفرق بين الوفاء والصدق:**

(قيل: هما أعم وأخص.

فكل وفاء صدق، وليس كل صدق وفاء.

فإن الوفاء قد يكون بالفعل دون القول، ولا يكون الصدق إلا في القول؛ لأنه نوع من أنواع الخبر، والخبر قول)[٢].

- **الفرق بين الصَّادق والصِّدِّيق:**

قال الماوردي: (والفرق بين الصَّادق والصِّدِّيق: أن الصادق في قوله بلسانه، والصديق من تجاوز صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله لا يختلف سره وجهره، فصار كلُّ صِدِّيق صادقًا، وليس كل صادق صِدِّيقًا)[٣].

أهمية الصدق في المجتمع:

(تبدو لنا حاجة المجتمع الإنساني إلى خلق الصدق، حينما نلاحظ أن

---

(١) ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (ص ١٩٤).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٥٧٥).

(٣) ((تفسير الماوردي)) (٣/٤٣).

شطرًا كبيرًا من العلاقات الاجتماعية، والمعاملات الإنسانية، تعتمد على شرف الكلمة، فإذا لم تكن الكلمة معبرة تعبيرًا صادقًا عما في نفس قائلها، لم نجد وسيلة أخرى كافية نعرف فيها إرادات الناس، ونعرف فيها حاجاتهم ونعرف فيها حقيقة أخبارهم.

لولا الثقة بشرف الكلمة وصدقها لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس، ويكفي أن نتصور مجتمعًا قائمًا على الكذب؛ لندرك مبلغ تفككه وانعدام صور التعاون بين أفراده.

كيف يكون لمجتمع ما كيان متماسك، وأفراده لا يتعاملون فيما بينهم بالصدق؟! وكيف يكون لمثل هذا المجتمع رصيد من ثقافة، أو تاريخ، أو حضارة؟!

كيف يوثق بنقل المعارف والعلوم إذا لم يكن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع الإنساني؟!

كيف يوثق بنقل الأخبار والتواريخ إذا لم يكن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع؟!

كيف يوثق بالوعود والعهود ما لم يكن الصدق أحد أسس التعامل بين الناس؟!

كيف يوثق بالدعاوى والشهادات ودلائل الإثبات القولية ما لم يكن الصدق أحد أسس التعامل بين الناس؟!)[1].

يقول ابن القيم في الصدق إنه: (منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (١/٤٨٥).

الهالكين، وبه تميَّز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه، الذي ما وُضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلًا إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تردَّ صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحكُّ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة، التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات: تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين، وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان: أن يكونوا مع الصادقين، وخصَّ المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩])[١].

وقال أبو حاتم: (إنَّ الله جلَّ وعلا فضَّل اللسان على سائر الجوارح، ورفع درجته، وأبان فضيلته، بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده، فلا يجب للعاقل أن يعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب، بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق، وما يعود عليه نفعه في داريه؛ لأنَّ اللسان يقتضي ما عُوِّد؛ إن صدقًا فصدقًا، وإن كذبًا فكذبًا)[٢].

الترغيب في الصدق:

أولًا: في القرآن الكريم

أمر الإسلام بالصدق وحث عليه في كل المعاملات التي يقوم بها المسلم، والأدلة كثيرة من القرآن الكريم على هذا الخلق النبيل:

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣/٥).

(٢) ((روضة العقلاء)) (ص ٥١).

- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

(أي: اصدُقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا)[١].

وعن عبد الله بن عمر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وقال الضحاك: مع أبي بكر وعمر وأصحابهما.

وقال الحسن البصري: إن أردت أن تكون مع الصادقين، فعليك بالزهد في الدنيا، والكفِّ عن أهل الملة)[٢].

- ووصف الله به نفسه فقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

- وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

قال الشوكاني: (قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ كلام مستأنف لبيان فضل طاعة الله والرسول، والإشارة بقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ إلى المطيعين، كما تفيده من ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩] بدخول الجنة، والوصول إلى ما أعدَّ الله لهم، والصدِّيق المبالغ في الصدق، كما تفيده الصيغة، وقيل: هم فضلاء أتباع الأنبياء، والشهداء: من ثبتت لهم الشهادة، والصالحين: أهل الأعمال الصالحة)[٣].

---

(١) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٤/٢٣٠).
(٢) ((المصدر السابق)) (٤/٢٣١).
(٣) ((فتح القدير)) للشوكاني (٢/١٧٢).

- وقوله: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

(أي: ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة، ولو كذبوا ختم الله على أفواههم، ونطقت به جوارحهم فافتضحوا)(١).

- وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ (أي: لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، التي هي ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعدٍّ وقاصر، وما بين أفعال الخير، وترك الشرِّ، الذي من قام بهنَّ، فقد قام بالدين كلِّه، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان.

فجازاهم على عملهم بالمغفرة لذنوبهم؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم)(٢).

ثانيًا: في السنة النبوية

جاءت الأحاديث النبوية متضافرة في الحث على الصدق، والأمر به، وأنَّه وسيلة إلى الجنة.

(١) ((معالم التنزيل)) للبغوي (٣/١٢٣).

(٢) ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (٦٦٤).

- فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((إنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وإنَّ الرجل ليصدق حتى يكون صِدِّيقًا، وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذَّابًا))[١].

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: (قال العلماء: هذا فيه حث على تحرِّي الصدق، وهو قصده والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه؛ فإنَّه إذا تساهل فيه كثر منه، فعرف به، وكتبه الله لمبالغته صِدِّيقًا إن اعتاده، أو كذَّابًا إن اعتاده. ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك، ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكذابين وعقابهم، والمراد إظهار ذلك للمخلوقين، إما بأن يكتبه في ذلك؛ ليشتهر بحظِّه من الصفتين في الملأ الأعلى، وإما بأن يلقي ذلك في قلوب الناس وألسنتهم، وكما يوضع له القبول والبغضاء، وإلا فقدر الله تعالى وكتابه السابق بكلِّ ذلك)[٢].

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أربع إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك في الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة))[٣].

- وعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدَّثتم،

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) (١٦/٢٤١-٢٤٣).

(٣) رواه أحمد (٢/١٧٧) (٦٦٥٢)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٦/٤٤٩). وحسن إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣/١٦)، والهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/٢٩٨)، وصححه الألباني في ((صحيح الترغيب)) (١٧١٨).

وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم))[١].

(أي: ((اضمنوا لي ستًّا)) من الخصال، ((من أنفسكم)) بأن تداوموا على فعلها، ((أضمن لكم الجنة)) أي دخولها، ((اصدقوا إذا حدثتم)) أي: لا تكذبوا في شيء من حديثكم، إلا إن ترجح على الكذب مصلحة أرجح من مصلحة الصدق، في أمر مخصوص، كحفظ معصوم...)[٢].

- وعن أبي محمد، الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك؛ فإنَّ الصدق طمأنينة، والكذب ريبة))[٣].

(أي: اترك ما تشكُّ في كونه حسنًا أو قبيحًا، أو حلالًا أو حرامًا، ((إلى ما لا يريبك)) أي: واعدل إلى ما لا شك فيه يعني ما تيقنت حسنه وحِلَّه، ((فإنَّ الصدق طمأنينة)) أي: يطمئن إليه القلب ويسكن، وفيه إضمار أي محلُّ طمأنينة أو سبب طمأنينة، ((وإنَّ الكذب ريبة)) أي: يقلق القلب ويضطرب، وقال الطِّيبي: جاء هذا القول ممهدًا لما تقدمه من الكلام، ومعناه: إذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء فاتركه؛ فإنَّ نفس المؤمن تطمئنُّ إلى الصدق وترتاب من الكذب، فارتيابك من الشيء منبئ عن كونه مظنَّة للباطل

---

(١) رواه أحمد (٣٢٣/٥) (٢٢٨٠٩)، والحاكم (٣٩٩/٤)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (١٢٦٩١). وقال الذهبي في ((المهذب)) (٢٤٥١/٢)، وحسن إسناده ابن كثير في جامع ((المسانيد والسنن)) (٥٨٠٧).

(٢) ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)) للمناوي (٦٨٤/١).

(٣) رواه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١). وقال الترمذي: حسن صحيح. وحسنه النووي في ((المجموع)) (١٨١/١)، وصححه الوادعي في ((الصحيح المسند)) (٣١٨).

فاحذره، وطمأنينتك للشيء مشعر بحقيقته فتمسك به، والصدق والكذب يستعملان في المقال والأفعال وما يحقُّ أو يبطل من الاعتقاد، وهذا مخصوص بذوي النفوس الشريفة القدسية المطهرة عن دنس الذنوب، ووسخ العيوب)[١].

- وعن أبي سفيان في حديثه الطويل في قصة هرقل عظيم الروم قال هرقل: فماذا يأمركم -يعني النبي صلى الله عليه وسلم- قال أبو سفيان قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والصدقة، والعفاف، والصلة[٢].

أقوال السلف والعلماء في الصدق:

- قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما بويع للخلافة: (أيها الناس، إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة)[٣].

- وقال عمر: (لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محقٌّ، ويدع الكذب في المزاح، وهو يرى أنَّه لو شاء لغلب)[٤].

- وعن عبد الله بن عمرو قال: (ذر ما لست منه في شيء، ولا تنطق فيما لا يعنيك، واخزن لسانك كما تخزن دراهمك)[٥].

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ** ﴾ [البقرة: ٤٢]: (أي لا تخلطوا الصدق بالكذب)[٦].

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (ص ٧٢٤).

(٢) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٣) رواه الطبري في ((التاريخ)) (٣/٢١٠)، وابن الأثير في ((الكامل)) (٢/١٩٢).

(٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص ٥٥).

(٥) رواه البيهقي في ((الشعب)) (٧/٦٦) (٤٦٥٣)، وابن حبان ((روضة العقلاء)) (٥٥).

(٦) رواه الطبري في ((تفسيره)) (١/٥٦٨).

- وعن إسماعيل بن عبيد الله قال: (كان عبد الملك بن مروان يأمرني أن أُجنِّب بنيه السمن، وكان يأمرني أن لا أطعم طعامًا حتى يخرجوا إلى البراز[١]، وكان يقول: علِّم بنيَّ الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم الكذب، وإن فيه كذا وكذا يعني القتل)[٢].

- وقال ميمون بن ميمون: (من عُرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه)[٣].

- وقال الفضيل بن عياض: (ما من مضغة أحب إلى الله من لسان صدوق، وما من مضغة أبغض إلى الله من لسان كذوب)[٤].

- وقالوا: (من شرف الصدق أن صاحبه يصدق على عدوه)[٥].

- وقال الأحنف لابنه: (يا بني، يكفيك من شرف الصدق، أنَّ الصادق يُقبل قوله في عدوه، ومن دناءة الكذب، أن الكاذب لا يُقبل قوله في صديقه ولا عدوه، لكلِّ شيء حِليةٌ، وحليةُ المنطق الصدق؛ يدلُّ على اعتدال وزن العقل)[٦].

- وقال إبراهيم الخواص: (الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه، أو فضل يعمل فيه)[٧].

- وقيل: (ثلاث لا تخطئ الصادق: الحلاوة والملاحة والهيبة)[٨].

---

(١) البراز: المكان الفضاء من الأرض البعيد الواسع. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٥/٣٠٩).
(٢) ((روضة العقلاء)) لأبي حاتم البستي (ص ٥١).
(٣) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٢/٢٧).
(٤) ((روضة العقلاء)) لأبي حاتم البستي (ص ٥٢).
(٥) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٢/٢٦).
(٦) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/٢٢٤).
(٧) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣/٢٠).
(٨) ((المصدر السابق)).

- وقال أبو حاتم: (الصدق يرفع المرء في الدارين كما أنَّ الكذب يهوي به في الحالين، ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد؛ إلا أنَّ المرء إذا عرف به قُبل كذبه، وصار صدقًا عند من يسمعه؛ لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه حتى يستقيم له على الصدق، ومجانبة الكذب، والعيُّ في بعض الأوقات خير من النطق؛ لأنَّ كلَّ كلام أخطأ صاحبه موضعه، فالعيُّ خير منه)[(١)].

- وقال الجنيد: (حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب)[(٢)].

- وقال القيني: (أصدق في صغار ما يضرني، لأصدق في كبار ما ينفعني)[(٣)].

- وقال بعض البلغاء: (الصادق مصان جليل، والكاذب مهان ذليل). وقال بعض الأدباء: (لا سيف كالحق، ولا عون كالصدق)[(٤)].

- وقال بعضهم: (من لم يؤدِّ الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض المؤقت، قيل: وما الفرض الدائم؟ قال: الصدق وقيل: من طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يبصر فيها الحق والباطل، وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك؛ فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك؛ فإنه يضرك، وقيل: ما أملق[(٥)] تاجر صدوق)[(٦)].

---

(١) ((روضة العقلاء)) (ص ٥٤).
(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢٠/٣).
(٣) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٢٨/٢).
(٤) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص٢٧٠).
(٥) أملق الرجل، فهو مملق إذا افتقر. ((لسان العرب)) (١٠/ ٣٤٨).
(٦) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢٢/٣).

- (وروي أن بلالًا لم يكذب منذ أسلم، فبلغ ذلك بعض من يحسده، فقال: اليوم أكذبه فسايره، فقال له: يا بلال ما سنُّ فرسك؟ قال عظم، قال: فما جريه؟ قال: يحضر[1] ما استطاع، قال: فأين تنزل؟ قال: حيث أضع قدمي، قال: ابن من أنت؟ قال ابن أبي وأمي، قال: فكم أَتى عليك؟ قال: ليالٍ وأيامٌ، الله أعلم بعدها، قال: هيهات، أعيت فيك حيلتي، ما أتعب بعد اليوم أبدًا)[2].

فوائد الصدق[3]:

إذا تمكن الصدق من القلب سطع عليه نوره، وظهرت على الصادق آثاره، في عقيدته وعباداته، وأخلاقه وسلوكياته، ومن هذه الآثار:

١- سلامة المعتقد:

فمن أبرز آثار الصدق على صاحبه: سلامة معتقده من لوثات الشرك ما خفي منه وما ظهر.

٢- البذل والتضحية لنصرة الدين:

فالصادق قد باع نفسه وماله وعمره لله، ولنصرة دين الله؛ إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، همه رضا مولاه.

٣- الهمة العالية:

الصادقون أصحاب همة عالية، وعزيمة قوية ماضية، همهم رضا ربهم، يسيرون معها أين توجهت ركائبها، ويستقلون معها أين استقلت مضاربها؛

---

(١) الحضر: ارتفاع الفرس في عدوه. ((القاموس المحيط)) (ص ٣٧٦).

(٢) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/٢٢٥).

(٣) ((الرائد... دروس في التربية والدعوة)) لمازن بن عبد الكريم الفريح (٣/٢٥٨). بتصرف.

ترى الصادق قد عمَّر وقته بالطاعات، وشغله بالقربات، (فبينما هو في صلاة إذ رأيته في ذكر ثم في غزو، ثم في حجٍّ، ثم في إحسان للخلق بالتعليم وغيره من أنواع النفع، ثم في أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو في قيام بسبب فيه عمارة الدين والدنيا، ثم في عيادة مريض، أو تشييع جنازة، أو نصر مظلوم – إن أمكن – إلى غير ذلك من أنواع القرب والمنافع.

٤- تلافي التقصير واستدراك التفريط:

الصادق قد تمر به فترة ولكنها إلى سنة، وقد يعتريه تقصير ولكنه سرعان ما يتلاقاه بتكميل، وقد يلم بذنب ولكنه سريع التيقظ والتذكر، فيقلع ويندم ويرجع: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] وقد يحصل منه تفريط فيستدرك، فبالصدق يتلاقى كل تفريط، فيصلح من قلبه ما مزقته يد الغفلة والشهوة، ويعمر منه ما خربته يد البطالة، ويلم منه ما شعثته يد التفريط والإضاعة.

٥- حب الصالحين وصحبة الصادقين:

من علامات الصادق وأثر الصدق في قلبه، أنه يضيق بصحبة أهل الغفلة، ولا يصبر على مخالطتهم إلا بقدر ما يبلغهم به دعوة الله، وينشر الخير بينهم، فلا يصحبهم إلا لضرورة من دين أو دنيا؛ ذلك لأن ((المرء على دين خليله))[١]، والصاحب ساحب، وكل قرين بالمقارن يقتدي؛ ولهذا

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترّمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٢/٣٣٤) (٨٣٩٨) واللَّفظ له، والحاكم (٤/١٨٨)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧/٥٥) (٩٤٣٦). قال التِّرمذي، والبغوي في ((شرح السنة)) (٦/٤٧٠): حسن غريب. وصحَّح إسناده النَّووي ((رياض الصالحين)) (١٧٧)، وحسَّنه ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) (١٥١)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٨٣٣).

قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال الله تعالى للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] فمجالسة الصالحين نعمة يستعين بها المرء للوصول إلى رضا ربه.

٦- الثبات على الاستقامة:

فمن آثار الصدق تمسك الصادق بدينه عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، سلوكًا وهديًا؛ فالتزامه بهذا الدين ليس انتقائيًّا، يلتزم بما يهوى، ويترك ما لا يروق له ولا تشتهيه نفسه، كما أنَّه التزام ثابت راسخ غير متذبذب ولا متردد، لا تغويه الشبهات، ولا تغريه الشهوات، ولا تستنزله الفتن، ولا تزلزله المحن.

٧- البعد عن مواطن الريب:

((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنَّ الصدق طمأنينة والكذب ريبة))[١].

(فيه إشارة إلى الرجوع إلى القلوب الطاهرة والنفوس الصافية عند الاشتباه، فإن نفس المؤمن جبلت على الطمأنينة إلى الصدق، والنفر من الكذب)[٢].

٨- حصول البركة في البيع والشراء:

((البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن صحيح. وحسنه النووي في ((المجموع)) (١/١٨١)، وصححه الشوكاني كما في ((الفتح الرباني)) (٢/٢٨٤)، والألباني في ((صحيح الجامع)) (٣٣٧٨)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (٣١٨).

(٢) ((تطريز رياض الصالحين)) لفيصل المبارك (ص ٥٥).

كتما وكذبا محقت بركة بيعهما))[١].

(حصول البركة لهما إن حصل منهما الشرط وهو الصدق والتبيين، ومحقها إن وجد ضدهما وهو الكذب)[٢].

٩- الوفاء بالعهود:

قال أبو إسماعيل الهروي: (وعلامة الصادق: ألا يتحمل داعية تدعو إلى نقض عهد)).

صور الصدق[٣]:

الصدق يستعمل في ستة معان: صدق في القول، وصدق في النية والإرادة، وصدق في العزم، وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صدِّيق.

١- صدق اللسان:

وهو أشهر أنواع الصدق وأظهرها. وصدق اللسان لا يكون إلا في الإخبار، أو فيما يتضمن الإخبار وينبه عليه، والخبر إما أن يتعلق بالماضي أو بالمستقبل، وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه، وحقٌّ على كلِّ عبد أن يحفظ ألفاظه، فلا يتكلم إلا بالصدق.

فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق، ولهذا الصدق كمالان، فالأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضًا، إلا عند الضرورة، والكمال الثاني أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).
(٢) ((فتح الباري)) لابن رجب (٣١١/٤).
(٣) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣٨٧/٤) بتصرف.

٢- صدق النية والإرادة:

ويرجع ذلك إلى الإخلاص، وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى، فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية، وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبًا.

٣- صدق العزم:

فإنَّ الإنسان قد يقدم العزم على العمل؛ فيقول في نفسه: إن رزقني الله مالًا تصدقت بجميعه أو بشطره، أو إن لقيت عدوًّا في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال، وإن قتلت، وإن أعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل إلى خلق، فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة، وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة، فكان الصدق هاهنا عبارة عن التمام والقوة.

٤- صدق الوفاء بالعزم:

فإنَّ النفس قد تسخو بالعزم في الحال؛ إذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة، فإذا حقت الحقائق، وحصل التمكن، وهاجت الشهوات انحلت العزيمة، وغلبت الشهوات، ولم يتفق الوفاء بالعزم، وهذا يضاد الصدق فيه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فقد روي عن أنس أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشق ذلك على قلبه وقال: أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه، أما والله، لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرينَّ الله ما أصنع، قال: فشهد أُحُدًا في العام القابل،

فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا أبا عمرو إلى أين؟ فقال واهًا[١] لريح الجنة إني أجد ريحها دون أحد. فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون؛ ما بين رمية وضربة وطعنة، فقالت أخته بنت النضر: ما عرفت أخي إلا ببنانه. فنزلت هذه الآية ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡـهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣][٢].

٥- صدق في الأعمال:

وهو أن يجتهد حتى لا تدلَّ أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به، لا بأن يترك الأعمال، ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر، وهذا مخالف ما ذكرناه من ترك الرياء، لأن المرائي هو الذي يقصد ذلك، ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره، ولكن قلبه غافل عن الصلاة، فمن ينظر إليه يراه قائمًا بين يدي الله تعالى، وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته، فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعرابًا هو فيه كاذب، وهو مطالب بالصدق في الأعمال، وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار، وليس باطنه موصوفًا بذلك الوقار، فهذا غير صادق في عمله، وإن لم يكن ملتفتًا إلى الخلق ولا مرائيًا إياهم، ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية، بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرًا من ظاهره.

٦- الصدق في مقامات الدين:

وهو أعلى الدرجات وأعزها، ومن أمثلته: الصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل وغيرها من الأمور.

---

(١) واها كلمة تحنن وتلهف. ((شرح النووي على مسلم)) (١٣/٤٨).

(٢) انظر ما رواه البخاري (٢٨٠٥).

دواعي الصدق:

هناك دوافع تجعل الإنسان حريصًا على الصدق، متحريًا له، وقد ذكر الماوردي منها: ((العقل؛ لأنه موجب لقبح الكذب، لا سيما إذا لم يجلب نفعًا ولم يدفع ضررًا . والعقل يدعو إلى فعل ما كان مستحسنًا، ويمنع من إتيان ما كان مستقبحًا.

ومنها: الدين الوارد باتباع الصدق وحظر الكذب؛ لأنَّ الشرع لا يجوز أن يرد بإرخاص ما حظره العقل، بل قد جاء الشرع زائدًا على ما اقتضاه العقل من حظر الكذب؛ لأن الشرع ورد بحظر الكذب، وإن جرَّ نفعًا، أو دفع ضررًا. والعقل إنما حظر ما لا يجلب نفعًا، ولا يدفع ضررًا .

ومنها: المروءة؛ فإنها مانعة من الكذب باعثة على الصدق؛ لأنها قد تمنع من فعل ما كان مستكرهًا، فأولى من فعل ما كان مستقبحًا .

ومنها: حب الثناء والاشتهار بالصدق، حتى لا يُردَّ عليه قول، ولا يلحقه ندم))[(١)].

الأمور التي تخلُّ بالصدق[(٢)]:

هذه بعض الآفات التي تخل بصدق المسلم، وتوهن أركان الصدق في شخصيته؛ ولذا يجب الحذر منها، ومجاهدة النفس على الابتعاد عنها، والتخلص منها، ومن هذه الأمور:

١- الكذب الخفي:

الرياء وهو الشرك الخفي، الذي تختلف فيه سريرة المرء عن علانيته، وظاهره

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي. بتصرف.
(٢) ((الرائد.. دروس في التربية والدعوة)) لمازن بن عبد الكريم الفريح (٣/٢٥٥). بتصرف يسير.

عن باطنه، قال صلى الله عليه وسلم: ((أيها الناس، اتقوا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل. قالوا: وكيف نتقيه يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه))[1].

٢- الابتداع:

إنَّ من كمال الصدق حسن الاتباع، وبقدر استمساك المرء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم يكون صدقه مع ربه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ [آل عمران: ٣١]، أي: إن كنتم صادقين في محبتكم لربكم اتبعوا سنة رسولكم صلى الله عليه وسلم، فعلامة صدق المحبة كمال الاتباع؛ ولهذا (كانت الصديقيَّة: كمال الإخلاص والانقياد، والمتابعة للخبر والأمر، ظاهرًا وباطنًا).

٣- كثرة الكلام:

من كثر كلامه كثر سقطه؛ إذ لا يخلو – في كثير من الأحيان – من التزيد واللغو أو الهذر الذي إذا لم يضرَّ فإنَّه لا ينفع، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

ومن الكذب أن يحدث الإنسان بكلِّ ما يسمع من أحاديث وأخبار دون تحرير لها ولا تنقيح؛ لأنه بتهاونه وإهماله وعدم تحريه الصدق في الأخبار يساهم

---

(١) رواه أحمد (٤٠٣/٤) (١٩٦٢٢)، وابن أبي شيبة (٧٠/٦) (٢٩٥٤٧)، والطبراني في ((الأوسط)) (١٠/٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٢٢٦/١٠): رجاله رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان. وحسنه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب)) (٣٦).

في نشر الأكاذيب وإشاعتها؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ((كفى بالمرء كذبًا أن يحدِّث بكلِّ ما سمع))[١].

٤- مداهنة النفس:

الاسترسال مع النفس في أهوائها وشهواتها، ليست من صفات الصادقين؛ ولهذا قيل: (لا يشمُّ رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره)[٢]. فكلما ألجمها بلجام المجاهدة، وزمَّها بزمام المراقبة والمحاسبة، ثبتت على الصدق قدمه.

٥- التناقض بين القول والعمل:

لقد عدَّ بعض السلف مخالفة عمل المرء لقوله أمارة كذب ونفاق. قال إبراهيم التيمي: (ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبًا)[٣].

الوسائل المعينة على الصدق[٤]:

الصدق شديد على النفس؛ ولهذا قال ابن القيم: (فحمل الصدق كحمل الجبال الرواسي، لا يطيقه إلا أصحاب العزائم، فهم يتقلبون تحته تقلب الحامل بحمله الثقيل، والرياء والكذب خفيف كالريشة، لا يجد له صاحبه ثقلًا البتة، فهو حامل له في أي موضع اتفق، بلا تعب ولا مشقة ولا كلفة، فهو لا يتقلب تحت حمله ولا يجد ثقله) وإليك بعض الوسائل التي تعين على الصدق:

١- مراقبة الله تعالى:

إن إيمان المرء بأن الله عز وجل معه، يبصره ويسمعه؛ يدفعه للخشية

---

(١) رواه مسلم في المقدمة (باب النهي عن الحديث بكل ما سمع).

(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/٣١١).

(٣) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم قبل حديث (٤٨)، ووصله ابن أبي شيبة (٧/١٦٠) (٣٤٩٧٠)، واللالكائي في ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) (١٥٨٠).

(٤) ((الرائد.. دروس في التربية والدعوة)) لمازن بن عبد الكريم الفريح (٣/٢٥١). بتصرف يسير.

والتحفظ، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. [المجادلة: ٧] وعندما يستحضر أن كلماته وخطراته، وحركاته وسكناته كلها محصية مكتوبة: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، فإن ذلك يقوده إلى رياض الصدق في الأقوال والأعمال والأحوال.

٢- الحياء:

الحياء يحجب صاحبه عن كل ما هو مستقبح شرعًا وعرفًا وذوقًا، والمرء يستحيي أن يعرف بين الناس أنه كذاب، وهذا هو الذي حمل أبا سفيان -وهو يومئذ مشرك- أن يصدق هرقل وهو يسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو سفيان: (فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عنه)[١]، أي: ينقلوا عليَّ الكذب لكذبت عليه. قال ابن حجر: (وفيه دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب، إما بالأخذ عن الشرع السابق، أو بالعرف.. وقد ترك الكذب استحياء وأنفة من أن يتحدثوا بذلك بعد أن يرجعوا فيصير عند سامعي ذلك كذابًا)[٢]. قلت: فالمسلم أولى بالحياء من ربه أن يسمعه يقول كذبًا، أو يطلع على عمل، أو حال هو فيه كاذب.

٣- صحبة الصادقين:

فقد أمر الله -عز وجل- المؤمنين أن يكونوا مع أهل الصدق، فقال -عز

(١) رواه البخاري (٧).

(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (١/٣٥)، بتصرف يسير.

وجل-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، أي: اقتدوا بهم واسلكوا سبيلهم، وهم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم، ووفوا بعهودهم وصدقوا في أقوالهم وأعمالهم.

٤- إشاعة الصدق في الأسرة:

الإسلام يوصي أن تغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال، حتى يشبوا عليها، وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها.

فعن عبد الله بن عامر قال: ((دعتني أمي يومًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها صلى الله عليه وسلم: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال لها: أما لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة))(١).

٥- الدعاء:

لما كان حمل النفس على الصدق في جميع أمورها شاق عليها، ولا يمكن لعبد أن يأتي به على وجهه إلا بإعانة الله له وتوفيقه إليه، أمر الله نبيه أن يسأله الصدق في المخرج والمدخل، فقال عز وجل: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾. [الإسراء: ٨٠] وقد ذكر المفسرون عدة أقوال في تأويلها.

٦- معرفة وعيد الله للكذابين وعذابه للمفترين:

قد جاءت النصوص الكثيرة التي تحذر من الكذب، وتبين سوء عاقبته في الدنيا والآخرة؛ ولهذا فإنَّ تذكير النفس بها، مما يعين المرء على الصدق في أحواله كلها.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٩١)، وأحمد (٣/٤٤٧) (١٥٧٤٠). وسكت عنه أبو داود، وحسنه ابن حجر في ((تخريج المشكاة)) (٤/٣٩٥)، والألباني في ((صحيح أبي داود)) (٤٩٩١).

نماذج في الصدق:

- **نماذج من حياة الأنبياء عليهم السلام مع الصدق:**

الأنبياء عليهم السلام كلهم موصوفون بالصدق، وقد ذكر الله أنبياءه بالصدق فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١] وقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

وأثنى الله على إسماعيل، فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤].

وَوُصِفَ يوسف عليه السلام بالصدق حينما جاءه الرجل يستفتيه فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾ [يوسف: ٤٦].

وأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ﴾. [الزمر: ٣٣] قال السعدي في تفسير قوله: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ (أي: في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم، ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أي: بالصدق؛ لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره)[1].

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (ص ٧٢٤).

صدق إمام الصادقين النبي صلى الله عليه وسلم:

(الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علمًا وعملًا وإيمانًا وإيقانًا، معروفًا بالصدق في قومه، لا يشك في ذلك أحد منهم، بحيث لا يُدْعى بينهم إلا بالأمين محمد؛ ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألها من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان فيما قال له: ((أوَ كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. فقال هرقل: فما كان ليَدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل[1])).)[2].

قال علي رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس صدرًا، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة[3]، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة[4] هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم)[5].

ويعلق ابن القيم على كلام عليٍّ قائلًا: (وقوله: أصدق الناس لهجة. هذا مما أقر له به أعداؤه المحاربون له، ولم يجرب عليه أحد من أعدائه كذبة واحدة

---

(١) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٤/٦٠٥).

(٣) العريكة: الطبيعة. يقال: فلان لينِّ العريكة إذا كان سَلِسًا مُطَاوِعًا مُنْقَادًا قليل الخلاف والنُّفور. ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (١/١٠٨).

(٤) بَديهةً أي: مُفاجأة وبَغْتة، يعني من لَقِيه قبل الاختلاط به هابه لوقاره وسكونه، وإذا جالسه وخالطه بان له حسن خُلُقه. ((النهاية في غريب الحديث والثر)) لابن الأثير (١/١٠٨).

(٥) رواه الترمذي باختلاف يسير في بعض ألفاظه (٣٦٣٨)، وابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١١/٥١٣)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢/١٤٨) (١٤١٥).

قال الترمذي: حسن غريب ليس إسناده بمتصل، وقال ابن عبد البر في ((الاستذكار)) (٧/٣٣٦): من أحسن شيء في صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وضعفه الألباني في ((ضعيف سنن الترمذي)) (٣٦٣٨).

قط، دع شهادة أوليائه كلهم له به، فقد حاربه أهل الأرض بأنواع المحاربات مشركوهم وأهل الكتاب منهم وليس أحد منهم يومًا من الدهر طعن فيه بكذبة واحدة صغيرة ولا كبيرة.

قال المسور بن مخرمة قلت لأبي جهل - وكان خالي -: يا خال، هل كنتم تتهمون محمدًا بالكذب قبل أن يقول مقالته؟ فقال: والله يا ابن أختي، لقد كان محمد وهو شاب يُدعى فينا الأمين، فلما وخطه الشيب[1] لم يكن ليكذب. قلت: يا خال، فلم لا تتبعونه؟ فقال: يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، فلما تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان[2]، قالوا: منا نبي. فمتى نأتيهم بهذه؟ أو كما قال)[3].

وقد روى البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ((لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعِد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا؛ لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ خيلًا بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مُصدقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقًا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١- ٢]))[4].

---

(١) وخطه الشيب: أي خالطه. ((الصحاح)) للجوهري (٣/٦٦).

(٢) أي: متساويين. ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٥/١٢٤).

(٣) ((جلاء الأفهام)) لابن القيم (ص ١٨٣).

(٤) رواه البخاري (٤٧٧٠).

- **نماذج من صدق الصحابة رضي الله عنهم:**

أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ورفيقه في الغار، وقد سُمِّي صديقًا لتصديقه للنبي صلى الله عليه وسلم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى؛ أصبح يتحدث الناس بذلك؛ فارتدَّ ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنَّه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟ فقال: نعم، إني لأصدقه ما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سُمِّي أبا بكر الصديق رضي الله عنه[(١)].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقِّه: ((إنَّ الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت. في أول الأمر، وقال أبو بكر: صدقت. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟! فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟! فما أوذي بعدها))[(٢)].

أبو ذر رضي الله عنه صادق اللهجة:

كان أبو ذر رضي الله عنه صادق اللهجة[(٣)]، فقد قال عنه النبي صلى الله

---

(١) رواه الحاكم (٣/٨١) (٤٤٥٨)، وعبد الرزاق في ((المصنف)) (٥/٣٢١)، والآجري في ((الشريعة)) (١٠٣٠). وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٣٠٦): متواتر.

(٢) رواه البخاري (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) اللهجة: هي لغة الإنسان التي جُبِل عليها فاعتادها. ومعنى صادق اللهجة: أنه لا يذهب إلى التورية والمعاريض في الكلام، فلا يرخي عنان كلامه، ولا يحابي مع الناس ولا يسامحهم، =

عليه وسلم: ((ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء -لا الأرض ولا السماء- من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، وهو شبيه عيسى ابن مريم))[(١)].

كعب بن مالك رضي الله عنه ينجو بالصدق:

وإليك قصة كعب بن مالك تبين صدق الصحابة رضي الله عنهم، ووقعت أحداث هذه القصة في غزوة تبوك، ولنترك الحديث لعبد الله بن كعب بن مالك، يروي لنا تفاصيل ما حدث، فعن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي، قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلَّف عن قصة تبوك، قال كعب: ((لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في بدر، ولم يعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحبُّ أنَّ لي بها مشهد بدر. وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري: أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه، في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا، ومفازًا وعدوًّا كثيرًا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي

= ويظهر الحق البحت، والصدق المحض. انظر: ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (١٠/٢٠٦)، ((معجم اللغة العربية المعاصرة)) (٣/٢٠٤١).

(١) رواه الترمذي (٣٨٠٢)، وابن حبان (١٦/٧٦) (٧١٣٢). قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه. وصحح إسناده ابن جرير الطبري في ((مسند علي)) (١٥٩)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٥٥٣٧).

يريد، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئًا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئًا، فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئا، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئًا، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلًا مغموصًا عليه النفاق، أو رجلًا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك، فقال: وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه، ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلًا حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب، وأقول بماذا أخرج من سخطه غدًا، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلَّ قادمًا زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبدًا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه و سلم قادمًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس؛ فلما فعل

ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلًا، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال. فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلَّفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟! فقلت: بلى، إني والله- يا رسول الله- لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيت جدلًا، ولكني والله، لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكنَّ الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك. فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبًا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك. فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مُرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين، قد شهدا بدرًا فيهما أُسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا... فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء فرج،

وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَل صاحبي مبشرون، وركض إليَّ رجل فرسًا، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنوني بالتوبة، يقولون: لِتَهْنِك[1] توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -وهو يبرق وجهه من السرور-: أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك. قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا، بل من عند الله. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرَّ استنار وجهه، حتى كأنَّه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه، قلت: يا رسول الله، إنَّ مِن توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك بعض مالك؛ فهو خير لك. قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله، إنَّ الله إنما نجاني بالصدق، وإنَّ مِن توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت. فوالله ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك

---

(١) التهنئة خلاف التعزية. يقال: هنأه بالأمر والولاية هنأ وهنأه تهنئة وتهنيئا إذا قلت له ليهنئك. ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ١٨٥).

لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذبًا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ -إلى قوله- ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩]، فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلِك، كما هلك الذين كذبوا، فإنَّ الله قال للذين كذبوا -حين أنزل الوحي- شرَّ ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ ﴾ -إلى قوله- ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦]))[1].

وقد ذكر ابن القيم الفوائد المستنبطة من هذه القصة، فقال: (ومنها عظم مقدار الصدق، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به، فما أنجى الله من أنجاه إلا بالصدق، ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب، وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] وقد قسم سبحانه الخلق إلى قسمين: سعداء، وأشقياء. فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق، والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب، وهو تقسيم حاصر مطرد منعكس. فالسعادة دائرة مع الصدق والتصديق، والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب. وأخبر سبحانه وتعالى: أنه لا ينفع العباد يوم القيامة إلا صدقهم. وجعل علم المنافقين الذي تميزوا به هو الكذب في أقوالهم وأفعالهم، فجميع ما نعاه

---

(١) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

عليهم أصله الكذب في القول والفعل، فالصدق بريد الإيمان، ودليله، ومركبه، وسائقه، وقائده، وحليته، ولباسه، بل هو لبه وروحه. والكذب بريد الكفر والنفاق، ودليله، ومركبه، وسائقه، وقائده، وحليته، ولباسه، ولبه، فمضادة الكذب للإيمان كمضادة الشرك للتوحيد، فلا يجتمع الكذب والإيمان إلا ويطرد أحدهما صاحبه، ويستقر موضعه، والله سبحانه أنجى الثلاثة بصدقهم، وأهلك غيرهم من المخلفين بكذبهم، فما أنعم الله على عبد بعد الإسلام بنعمة أفضل من الصدق الذي هو غذاء الإسلام وحياته، ولا ابتلاه ببلية أعظم من الكذب الذي هو مرض الإسلام وفساده)[١].

عبد الله بن جحش رضي الله عنه:

عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدثني أبي ((أنَّ عبد الله بن جحش قال يوم أحد: ألا نأتي ندعو الله، فخلوا في ناحية فدعا سعد قال: يا رب، إذا لقينا القوم غدًا فلقني رجلًا شديدًا بأسه، شديدًا حرده[٢]، فأقاتله فيك ويقاتلني، ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله وآخذ سَلَبه[٣]، فأمَّن عبد الله ابن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني غدًا رجلًا شديدًا حرده، شديدًا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع[٤] أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا قلت: يا عبد الله، فيمَ جُدع أنفك وأذنك؟! فأقول: فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم، فتقول: صدقت. قال سعد بن أبي وقاص: يا بني، كانت دعوة

(١) ((زاد المعاد)) لابن القيم (٣/٤٨٠).

(٢) الحرد الغضب. ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/ ١٤٦).

(٣) السلب: وهو ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٢/ ٣٨٧).

(٤) الجدع: قطع الأنف، والأذن- والشفة، وهو بالأنف أخص، فإذا أطلق غلب عليه. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (١/ ٢٤٦).

عبد الله بن جحش خيرًا من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإن أذنه وأنفه لمعلَّقان في خيط))[١].

معنى ما أضيف إلى الصدق من المدخل والمخرج واللسان والقدم والمقعد:

ذكر ابن القيم معاني هذه الكلمات في كتابه (مدارج السالكين) فقال:

(وقد أمر الله تعالى رسوله: أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

- وأخبر عن خليله إبراهيم أنه سأله أنه يهب له لسان صدق في الآخرين، فقال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

- وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

- وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق ومخرج الصدق ولسان الصدق وقدم الصدق ومقعد الصدق)[٢].

ثم بعد أن سرد الآيات قال: (وحقيقة الصدق في هذه الأشياء: هو الحق

---

(١) رواه الحاكم (٢/٨٦)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (١٢٧٦٩)، وأبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) (٣/١٦٠٧). قال الهيثمي في ((المجمع)) (٩/٣٠٤): رجاله رجال الصحيح. وصحح إسناده ابن حجر في ((فتح الباري)) (٦/٢٨٥).

(٢) ((مدارج السالكين)) (٣/٥).

الثابت المتصل بالله الموصل إلى الله، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة.

- فمدخل الصدق ومخرج الصدق: أن يكون دخوله وخروجه حقًّا ثابتًا بالله وفي مرضاته، بالظفر بالبغية وحصول المطلوب، ضد مخرج الكذب ومدخله الذي لا غاية له يوصل إليها، ولا له ساق ثابتة يقوم عليها، كمخرج أعدائه يوم بدر، ومخرج الصدق كمخرجه هو وأصحابه في تلك الغزوة.

وكذلك مدخله صلى الله عليه وسلم المدينة: كان مدخل صدق بالله ولله وابتغاء مرضات الله، فاتصل به التأييد، والظفر، والنصر، وإدراك ما طلبه في الدنيا والآخرة، بخلاف مدخل الكذب الذي رام أعداؤه أن يدخلوا به المدينة يوم الأحزاب، فإنه لم يكن بالله ولا لله، بل كان محادة لله ورسوله، فلم يتصل به إلا الخذلان والبوار.

وكذلك مدخل من دخل من اليهود المحاربين لرسول الله حصن بني قريظة، فإنه لما كان مدخل كذب: أصابه معهم ما أصابهم.

فكل مدخل معهم ومخرج كان بالله ولله، وصاحبه ضامن على الله فهو مدخل صدق ومخرج صدق.

وكان بعض السلف إذا خرج من داره، رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أعوذ بك أن أخرج مخرجًا لا أكون فيه ضامنًا عليك.

يريد: أن لا يكون المخرج مخرج صدق، ولذلك فسر مدخل الصدق ومخرجه: بخروجه من مكة ودخوله المدينة، ولا ريب أن هذا على سبيل التمثيل، فإن هذا المدخل والمخرج من أجل مداخله ومخارجه، وإلا فمداخله كلها مداخل صدق

ومخارجه مخارج صدق، إذ هي لله وبالله وبأمره ولابتغاء مرضاته.

وما خرج أحد من بيته ودخل سوقه أو مدخلًا آخر إلا بصدق أو بكذب، فمخرج كل واحد ومدخله: لا يعدو الصدق والكذب، والله المستعان.

- وأما لسان الصدق: فهو الثناء الحسن عليه صلى الله عليه وسلم من سائر الأمم بالصدق، ليس ثناء بالكذب، كما قال عن إبراهيم وذريته من الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠] والمراد باللسان هاهنا: الثناء الحسن، فلما كان الصدق باللسان وهو محله أطلق الله سبحانه ألسنة العباد بالثناء على الصادق جزاء وفاقًا، وعبر به عنه.

فإن اللسان يراد به ثلاثة معان: هذا واللغة كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]. وقوله: ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]. وقوله: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾. [النحل: ١٠٣] ويراد به الجارحة نفسها كقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦].

- وأما قدم الصدق: ففسر بالجنة وفسر بمحمد وفسر بالأعمال الصالحة.

وحقيقة القدم ما قدموه وما يقدمون عليه يوم القيامة، وهم قدموا الأعمال والإيمان بمحمد، ويقدمون على الجنة التي هي جزاء ذلك.

فمن فسره بها أراد: ما يقدمون عليه، ومن فسره بالأعمال وبالنبي: فلأنهم قدموها وقدموا الإيمان به بين أيديهم، فالثلاثة قدم صدق.

- وأما مقعد الصدق: فهو الجنة عند الرب تبارك وتعالى.

ووصف ذلك كله بالصدق مستلزم ثبوته واستقراره، وأنه حق ودوامه ونفعه وكمال عائدته، فإنه متصل بالحق سبحانه كائن به وله، فهو صدق غير كذب، وحق غير باطل، ودائم غير زائل، ونافع غير ضار، وما للباطل ومتعلقاته إليه سبيل ولا مدخل)[١].

معنى الصِّدِّيقية:

الصِّدِّيقية: هي كمال الانقياد للرسول مع كمال الإخلاص للمرسل[٢].

وقال القرطبي: (الصديق هو الذي يحقق بفعله ما يقوله بلسانه)[٣].

وقال ابن تيمية: (فالصِّدِّيق قد يراد به الكامل في الصدق، وقد يُراد به الكامل في التصديق)[٤].

وقال ابن العربي: (وأما الصِّدِّيق فهو من أسماء الكمال، ومعناه الذي صدَّق علمه بعمله)[٥].

الأمثال في الصدق:

١- قولهم: سُبَّنِي واصْدُق:

يقال ذلك في الحض على الصدق، والنهي عن الكذب، يقول: إني لا أبالي

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣/٩).
(٢) ((المصدر السابق)) (٣/٨).
(٣) ((تفسير القرطبي)) (٦/٤٤٩)
(٤) ((منهاج السنة)) لابن تيمية (٤/٢٦٦).
(٥) ((كتاب التعريفات الاعتقادية)) لسعد آل عبد اللطيف (ص ٢١٨)، نقلاً عن كتاب: ((قانون التأويل)) لابن العربي (ص ٣٤٣).

أن تسبني بما أعرفه من نفسي بعد أن تجانب الكذب[١].

٢- لا يكذِب الرَّائدُ أهله:

والرائد هو الذي يقدمونه ليرتاد لهم كلأً أو منزلًا أو ماءً أو موضع حرز يلجؤون إليه من عدو يطالبهم، فإن كذبهم أو غرهم صار تدبيرهم على خلاف الصواب، فكانت فيه هلكتهم[٢].

٣- الصدق عزٌّ والكذب خضوع:

يضرب في مدح الصدق وذمِّ الكذب[٣].

٤- إن الكذوب قد يصدق:

يقال في الرجل المعروف بالكذب تكون منه الصدقة الواحدة أحيانًا[٤].

الصدق في واحة الشعر:

قال الشاعر:

عوِّد لسانك قول الخير تحظَ به ... إنَّ اللسان لما عوَّدتَ معتادُ

موكلٌ بتقاضي ما سننتَ له ... فاخترْ لنفسك وانظر كيف ترتادُ[٥]

وقال الكريزي:

كذبت ومن يكذبْ فإنَّ جزاءه ... إذا ما أتَى بالصِّدق أن لا يُصدَّقا

إذا عُرِفَ الكذَّابُ بالكذب لم يزل ... لدى الناس كذَّابًا وإن كان صادقا

---

(١) ((الأمثال)) لأبي عبيد بن سلام (ص ٤٦).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٤٩).

(٣) ((مجمع الأمثال)) للميداني (ص ٤٠٨).

(٤) ((الأمثال)) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص ٥٠).

(٥) ((الجليس الصالح الكافي)) للجريري (ص ١٩٤)

ومن آفة الكذَّاب نسيان كذبه وتلقاه ذا فقهٍ إذا كان حاذقا[١]

وأنشد محمد بن عبد الله البغدادي:

إذا ما المرء أخطأه ثلاثٌ فبِعْه ولو بكفٍّ مِن رمادِ
سلامة صدره والصدق منه وكتمان السَّرائر في الفؤادِ[٢]

وقال آخر:

وإذا الأمور تزاوجت فالصدق أكرمها نتاجا
الصدق يعقد فوق رأس حليفه بالصدق تاجا
والصدق يقدح زَنده في كلِّ ناحية سِراجا[٣]

قال آخر:

تحدَّث بصدق إن تحدَّثتَ وليكنْ لكلِّ حديث من حديثك حينُ
فما القولُ إلا كالثيابِ فبعضُها عليك وبعض في التخوت مصونُ[٤]

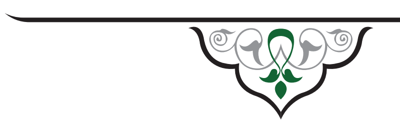
وقال آخر:

كم مِن حسيب كريم كان ذا شرفٍ قد شانه الكذب وسط الحي إن عمدا
وآخر كان صعلوكًا فشرَّفه صدقُ الحديث وقول جانب الفندا[٥]
فصار هذا شريفًا فوق صاحبه وصار هذا وضيعًا تحته أبدا[٦]

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٥٢).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٥٣).
(٣) ((المصدر السابق)).
(٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٥٥).
(٥) الفند: الخطأ في القول والرأي. ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (ص ٣٠٧).
(٦) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٥٥).



الصَّمْت



الصَّمْت

معنى الصمت لغةً واصطلاحًا:

• معنى الصمت لغةً:

صَمَتَ يَصْمُتُ صَمْتًا وصُموتًا وصُماتًا: سَكَتَ. وأَصْمَتَ مثله، والتصْميتُ: التسكيتُ. ويُقال لغير الناطق: صامت ولا يقال ساكت. وأصمتُّه أنا إصماتًا إذا أَسْكَتُّهُ. وَيُقَال: أَخذه الصُّمات. إِذا سكت فلم يتكلم[١].

• معنى الصمت اصطلاحًا:

قال المناوي: (الصمت: فقد الخاطر بوجد حاضر. وقيل: سقوط النطق بظهور الحق. وقيل: انقطاع اللسان عند ظهور العيان)[٢].

وقال الكفوي: (والصمت إمساك عن قوله الباطل دون الحق)[٣].

الفرق بين الصمت والسكوت[٤]:

١- أن السكوت هو ترك التكلم مع القدرة عليه، وبهذا القيد الأخير يفارق الصمت؛ فإن القدرة على التكلم غير معتبرة فيه.

٢- كما أن الصمت يراعى فيه الطول النسبي، فمن ضم شفتيه آنًا يكون ساكتًا، ولا يكون صامتًا إلا إذا طالت مدة الضم.

٣- السكوت إمساك عن الكلام حقًّا كان أو باطلًا، أما الصمت فهو

---

(١) ((الصحاح تاج اللغة)) للجوهري (٢٥٦/١)، ((جمهرة اللغة)) لابن دريد الأزدي (٤٠٠/١)، ((المعجم الوسيط)) (ص ٥٢٢).

(٢) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) (ص ٢١٩).

(٣) ((الكليات)) (ص ٨٠٦).

(٤) ((نضرة النعيم)) (٢٦٣٤/٧).

إمساك عن قول الباطل دون الحق.

(قال الراغب: الصمت أبلغ من السكوت؛ لأنَّه قد يستعمل فيما لا قوة له للنطق، وفيما له قوة النطق؛ ولهذا قيل لما لا نطق له: الصامت والمصمت، والسكوت يقال لما له نطق فيترك استعماله)[1].

أسماء مرادفة للصمت:

قال النيسابوري[2]: (ترك الكلام له أربعة أسماء:

١- الصمت، وهو أعمها حتى إنه يستعمل فيما ليس يقوى على النطق كقولهم: (مال ناطق أو صامت).

٢- والسكوت، وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام.

٣- والإنصات، هو السكوت مع استماع قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

٤- والإصاخة، وهو الاستماع إلى ما يصعب إدراكه، كالسرِّ والصوت من المكان البعيد).

أهمية الصمت:

إن الشرع قد حث على الصمت ورغب فيه؛ لأنه يحفظ الإنسان من الوقوع في آفات اللسان ومنكرات الأقوال، ويسلم به من الاعتذار للآخرين.

(ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر، وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.

---

(١) ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) لأبي الحسن الهروي (٣٠٣٨/٧).

(٢) ((غرائب القرآن ورغائب الفرقان)) للنيسابوري (٥٣٧/٤).

أما الذي هو ضرر محض؛ فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر.

وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر؛ فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان، وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع، وهذا الربع فيه خطر، إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجًا يخفى دركه، فيكون الإنسان به مخاطرًا ومن عرف دقائق آفات اللسان... علم قطعًا، أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال: ((من صمت نجا))[(١)]. فلقد أوتي والله جواهر الحكم قطعًا، وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء)[(٢)].

الترغيب في الصمت:

أولًا: في القرآن الكريم

- قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

قال ابن كثير: (﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ أي: ابن آدم ﴿مِن قَوْلٍ﴾ أي: ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: إلا ولها من يراقبها معتد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢])[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٠١)، وأحمد (١٥٩/٢) (٦٤٨١)، والدارمي (١٧٨١/٣) (٢٧٥٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وثق رواته: المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣٤٣/٣)، و ابن حجر في ((فتح الباري)) (٣١٥/١١)، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((المسند)) (١٤٠/١٠)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٦٣٦٧).

(٢) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (١١١/٣-١١٢).

(٣) ((تفسير القرآن العظيم)) (٣٩٨/٧).

وقال الشوكاني: (أي: ما يتكلم من كلام، فيلفظه ويرميه من فيه إلا لديه، أي: على ذلك اللافظ رقيب، أي: ملك يرقب قوله ويكتبه، والرقيب: الحافظ المتتبع لأمور الإنسان الذي يكتب ما يقوله من خير وشر، فكاتب الخير هو ملك اليمين، وكاتب الشر ملك الشمال. والعتيد: الحاضر المهيأ. قال الجوهري: العتيد: الحاضر المهيأ،... والمراد هنا أنه معد للكتابة مهيأ لها)[١].

وقال الشنقيطي: (قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ أي ما ينطق بنطق ولا يتكلم بكلام ﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾، أي إلا والحال أن عنده رقيبًا، أي ملكًا مراقبًا لأعماله، حافظًا لها شاهدًا عليها لا يفوته منها شيء. ﴿عَتِيدٌ﴾: أي حاضر ليس بغائب يكتب عليه ما يقول من خير وشر)[٢].

وقال السمعاني: (أي: رقيب حاضر. قال الحسن: يكتب الملكان كل شيء، حتى قوله لجاريته: اسقيني الماء، وناوليني نعلي، أو أعطيني ردائي. ويقال: يكتب كل شيء حتى صفيره بشرب الماء)[٣].

ثانيًا: في السنة النبوية

- عن أبي هريرة -رضي اللّه عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت))[٤].

قال ابن عبد البر: (وفي هذا الحديث آداب وسنن، منها التأكيد في لزوم الصمت، وقول الخير أفضل من الصمت؛ لأن قول الخير غنيمة، والسكوت سلامة، والغنيمة أفضل من السلامة)[٥].

---

(١) ((فتح القدير)) (٥/٨٩).بتصرف

(٢) ((أضواء البيان)) (٧/٤٢٧).

(٣) ((تفسير القرآن)) (٥/٢٤٠).

(٤) رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

(٥) ((التمهيد)) لابن عبد البر (٢١/٣٥).

وقال النووي: (وأما قوله صلى الله عليه وسلم: ((فليقل خيرًا أو ليصمت)) فمعناه: أنه إذا أراد أن يتكلم؛ فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا يثاب عليه واجبًا أو مندوبًا فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين؛ فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورًا بتركه، مندوبًا إلى الإمساك عنه؛ مخافةً من انجراره إلى المحرم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيرًا أو غالبًا)[1].

- عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من صمت نجا))[2].

قال القاري: (... ((من صمت)): أي: سكت عن الشرِّ. ((نجا)): أي: فاز وظفر بكل خير، أو نجا من آفات الدارين)[3].

قال الغزالي: (من تأمل جميع... آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم: ((من صمت نجا))؛ لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب، وهي على طريق المتكلم، فإن سكت سلم من الكل، وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه، إلا أن يوافقه لسان فصيح، وعلم غزير، وورع حافظ، ومراقبة لازمة، ويقلل من الكلام؛ فعساه يسلم عند ذلك، وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر، فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم، فكن ممن سكت فسلم، فالسلامة إحدى الغنيمتين)[4].

---

(١) ((شرح النووي على مسلم)) (١٨/٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٠١)، وأحمد (١٥٩/٢) (٦٤٨١)، والدارمي (١٧٨١/٣) (٢٧٥٥). قال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣٤٣/٣): رواته ثقات. وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٦٣٦٧).

(٣) ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) للقاري (٣٠٣٨/٧).

(٤) ((إحياء علوم الدين)) (١٦٢/٣) بتصرف .

- عن سهل بن سعد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة))[١].

قال ابن عبد البر: (في هذا الحديث دليل على أن أكبر الكبائر إنما هي من الفم والفرج، وما بين اللحيين الفم، وما بين الرجلين الفرج، ومن الفم ما يتولد من اللسان وهو كلمة الكفر، وقذف المحصنات، وأخذ أعراض المسلمين، ومن الفم أيضا شرب الخمر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ظلمًا، ومن الفرج الزنى واللواط)[٢].

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: (فالمعنى من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه، أو الصمت عما لا يعنيه ضمن له الرسول صلى الله عليه وسلم الجنة... فإن النطق باللسان أصل في حصول كل مطلوب، فإذا لم ينطق به إلا في خير سلم، وقال ابن بطال: دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه، فمن وقي شرهما وقي أعظم الشر)[٣].

أقوال السلف والعلماء في الصمت:

أخذ أبو بكر الصديق، رضي الله عنه بطرف لسانه وقال: (هذا الذي أوردني الموارد)[٤].

- وعن علي رضي الله عنه قال: (بكثرة الصمت تكون الهيبة)[٥].

- و(عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: تعلموا الصمت كما تعلمون

(١) رواه البخاري (٦٤٧٤).
(٢) ((الاستذكار)) (٨/ ٥٦٥).
(٣) ((فتح الباري)) (١١/٣٠٩-٣١٠).
(٤) رواه مالك (٢/٩٨٨)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠/٤٠٢) (١١٨٤١).
(٥) ((ربيع الأبرار)) للزمخشري (٢/١٣٦)، و((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (١/٣٦٠).

الكلام، فإنَّ الصمت حلم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم، ولا تتكلم في شيء لا يعنيك، ولا تكن مضحاكًا من غير عجب، ولا مشَّاءً إلى غير أرب)[١].

- (عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: أربعٌ لا يصبن إلا بعجب: الصمت وهو أول العبادة، والتواضع، وذكر الله، وقلة الشيء)[٢].

- (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أفضل العبادة الصمت، وانتظار الفرج)[٣].

- (عن وهيب بن الورد رحمه الله، قال: كان يقال: الحكمة عشرة أجزاء: فتسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس)[٤].

- و(قال: أبو عمر الضرير: سمعت رياحًا القيسي، يقول: قال لي عتبة: يا رياح، إن كنت كلما دعتني نفسي إلى الكلام تكلمت فبئس الناظر أنا، يا رياح، إنَّ لها موقفًا تغتبط فيه بطول الصمت عن الفضول)[٥].

- وقالوا: (اللسان سبع عقور)[٦].

- (وقال الحسن رحمه الله: إملاء الخير خير من الصمت، والصمت خير

(١) رواه الخرائطي في ((مكارم الأخلاق)) (ص ١٣٦).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص ٢٦٢)، وابن أبي عاصم في ((الزهد)) (ص ٣٦)، وابن شاهين في ((الترغيب في فضائل الأعمال)) (ص ١١٦)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٣٦٦/٩) موقوفًا.
(٣) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (٢٤٥/١).
(٤) ((الصمت)) لابن أبي الدنيا (ص ٦٢).
(٥) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم الأصبهاني (٢٣٢/٦).
(٦) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (١٧٠/١).

من إملاء الشر)[١].

- وقال عبد الله بن أبي زكريا: (عالجت الصمت ثنتي عشرة سنةً، فما بلغت منه ما كنت أرجو، وتخوفت منه فتكلمت)[٢].

فوائد الصمت[٣]:

للصمت المحمود فوائد عديدة يعود نفعها على الفرد المتحلي به ومنها:

١- دليل كمال الإيمان، وحسن الإسلام.

٢- السلامة من العطب في المال، والنفس، والعرض.

٣- دليل حسن الخلق، وطهارة النفس.

٤- يثمر محبة الله، ثم محبة الناس.

٥- سبب للفوز بالجنة، والنجاة من النار.

٦- من أقوى أسباب التوقير.

٧- دليل على الحكمة.

٨- داعية للسلامة من اللغط.

٩- يجمع للإنسان لبَّه.

١٠- الفراغ للفكر والذكر والعبادة.

١١- جمع الهم ودوام الوقار.

١٢- السلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة.

---

(١) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (٢/٧٨).

(٢) ((الصمت)) لابن أبي الدنيا (ص ٣٠٣).

(٣) انظر: ((نضرة النعيم)) (٧/٢٦٤٤)، ((منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول)) لعبد الله بن سعيد الشحاري (ص ٤١٨)، ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/١١١).

١٣- يكسبك احترام الآخرين لك، ولاسيما في المواقف التي يدور فيها الجدال والصراع.

١٤- يساعدك على تعلم حسن الإنصات والاستماع.

المفاضلة بين الصمت والكلام:

(الصمت في موضعه ربما كان أنفع من الإبلاغ بالمنطق في موضعه، وعند إصابة فرصته. وذاك صمتك عند من يعلم أنك لم تصمت عنه عيًّا ولا رهبة. فليزدك في الصمت رغبة ما ترى من كثرة فضائح المتكلمين في غير الفرص، وهذر من أطلق لسانه بغير حاجة)[١].

قال النووي: (وروينا عن الأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله قال: الصمت بسلامة وهو الأصل، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال، قال: وسمعت أبا علي الدقاق يقول: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس، قال: فأما إيثار أصحاب المجاهدة السكوت؛ فلما علموا ما في الكلام من الآفات، ثم ما فيه من حظِّ النفس، وإظهار صفات المدح، والميل إلى أن يتميز من بين أشكاله بحسن النطق، وغير هذا من الآفات)[٢].

(فليس الكلام مأمورًا به على الإطلاق، ولا السكوت كذلك، بل لابد من الكلام بالخير، والسكوت عن الشرِّ، وكان السلف كثيرًا يمدحون الصمت عن الشر، وعما لا يعني؛ لشدته على النفس، وذلك يقع فيه الناس كثيرًا، فكانوا يعالجون أنفسهم، ويجاهدونها على السكوت عما لا يعنيهم)[٣].

---

(١) ((الرسائل السياسية)) للجاحظ (ص ٧٩).

(٢) ((شرح النووي على مسلم)) (٢/١٩-٢٠).

(٣) ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (ص ٣٤١).

(ومن مدح الصمت، فاعتبارًا بمن يسيء في الكلام، فيقع منه جنايات عظيمة في أمور الدين والدنيا. فإذا ما اعتبرا بأنفسهما، فمحال أن يقال في الصمت فضل، فضلًا أن يخاير بينه وبين النطق. وسئل حكيم عن فضلهما فقال: الصمت أفضل حتى يحتاج إلى النطق، وسئل آخر عن فضلهما فقال: الصمت عن الخنا، أفضل من الكلام بالخطا)[1].

وقال شمس الدين السفاريني: (المعتمد أنَّ الكلام أفضل؛ لأنَّه من باب التحلية، والسكوت من التخلية، والتحلية أفضل، ولأنَّ المتكلم حصل له ما حصل للساكت وزيادةٌ، وذلك أنَّ غاية ما يحصل للساكت السلامة، وهي حاصلةٌ لمن يتكلم بالخير مع ثواب الخير)[2].

وقال ابن تيمية: (فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه، والصمت عن الشر خير من التكلم به، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء، فذلك من البدع المذمومة أيضًا، كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلًا قائما في الشمس، فقال: ما هذا؟ فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مروه فليجلس، وليستظل، وليتكلم، وليتم صومه)[3].

(وتذاكروا عند الأحنف بن قيس، أيهما أفضل الصمت أو النطق؟ فقال قوم: الصمت أفضل، فقال الأحنف: النطق أفضل؛ لأنَّ فضل الصمت لا يعدو صاحبه، والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه.

---

(١) ((محاسن التأويل)) للقاسمي (٩/١٠٠).

(٢) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) (١/٧٤).

(٣) ((الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)) (ص ٦١).

وقال رجل من العلماء عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله: الصامت على علم كالمتكلم على علم، فقال عمر: إني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالًا، وذلك أن منفعته للناس، وهذا صمته لنفسه، فقال له: يا أمير المؤمنين وكيف بفتنة النطق؟ فبكى عمر عند ذلك بكاءً شديدًا)[١].

وقال ابن عبد البر: (الكلام بالخير من ذكر الله وتلاوة القرآن وأعمال البر أفضل من الصمت، وكذلك القول بالحق كله، والإصلاح بين الناس وما كان مثله)[٢].

وقال أيضًا: (مما يبين لك أنَّ الكلام بالخير والذكر أفضل من الصمت أن فضائل الذكر الثابتة في الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يستحقها الصامت)[٣].

وقال النيسابوري: (والإنصاف أن الصمت في نفسه ليس بفضيلة، لأنَّه أمر عدمي، والنطق في نفسه فضيلة، وإنما يصير رذيلة لأسباب عرضية مما عددها ذلك القائل، فيرجع الحق إلى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: ((رحم الله امرأً قال خيرًا فغنم، أو سكت فسلم[٤])).)[٥].

وقال علي بن أبي طالب: (لا خير في الصمت عن العلم، كما لا خير في الكلام عن الجهل)[٦].

---

(١) ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (ص ٣٤١).
(٢) ((التمهيد)) (٢٢/٢٠).
(٣) ((المصدر السابق)).
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص ٧١) من حديث خالد بن أبي عمران رحمه الله.وقال السيوطي في ((الجامع الصغير)) (٤٤٢٧): مرسل حسن.
(٥) ((غرائب القرآن)) (٤/٥٣٧).
(٦) ذكره الرازي في ((تفسيره)) (٢/٤٠١)، والنيسابوري في ((غرائب القرآن)) (١/٢٢٧).

أقسام الصمت:

- **الصمت ينقسم إلى قسمين:**

١- صمت محمود:

أي أن تصمت عن كلِّ ما حرَّم الله ونهى عنه، مثل الغيبة والنَّمِيمَة والبذاءة وغيرها، وكذلك الصمت عن الكلام المباح الذي يؤدِّي بك إلى الكلام الباطل.

قال ابن عبد البر: (وإنما الصمت المحمود الصمت عن الباطل)[١].

وقال العيني: (الصمت المباح المرغوب فيه ترك الكلام الباطل، وكذا المباح الذي يجرُّ إلى شيء من ذلك)[٢].

٢- صمت مذموم:

كالصمت في المواطن التي يتطلَّب منك أن تتكلم فيها، مثل الأماكن التي ترى فيها المنكرات، وكذلك الصمت عن نشر الخير، وكتم العلم.

(وقد اختلف الفقهاء في الصمت هل هو حرام أو مكروه؟ والتحقيق أنه إذا طال، وتضمن ترك الواجب صار حرامًا، كما قال الصديق رضي الله عنه)[٣].

(قال علي بن أبي طالب: لا خير في الصمت عن العلم، كما لا خير في الكلام عن الجهل)[٤].

وقال ابن تيمية: (والصمت عما يجب من الكلام حرام، سواء اتخذه دينًا أو لم يتخذه)[٥].

---

(١) ((التمهيد)) (٢٢/٢٠).
(٢) ((عمدة القاري شرح صحيح البخاري)) (١٦/٢٩١).
(٣) ((مختصر الفتاوى المصرية)) للبعلي (٢٥/٢٩٤).
(٤) ذكره الرازي في ((تفسيره)) (٢/٤٠١)، والنيسابوري في ((غرائب القرآن)) (١/٢٢٧).
(٥) ((مجموع الفتاوى)) (٢٥/٢٩٤).

وقال أيضًا: (فقول الخير وهو الواجب أو المستحب خير من السكوت عنه)[١].

وقال الباجي: (وأما الصمت عن الخير وذكر الله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليس بمأمور به، بل هو منهي عنه نهي تحريم، أو نهي كراهة)[٢].

وقال العيني (والصمت المنهي عنه ترك الكلام عن الحق لمن يستطيعه، وكذا المباح الذي يستوي طرفاه)[٣].

الوسائل المعينة على اكتساب الصمت:

الوسائل المعينة على اكتساب صفة الصمت كثيرة نذكر منها ما يلي:

١- النظر في سيرة السلف الصالح، والاقتداء بهم في صمتهم.

٢- التأمل في العواقب الوخيمة والسيئة للكلام الذي لا فائدة فيه، والذي يفضي إلى الكلام الباطل.

٣- العزلة والابتعاد عن المجالس التي يكثر فيها اللغط والفحش والكلام البذيء.

قال الغزالي: (وأما الصمت فإنه تسهله العزلة، ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره، فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة، فإنَّ الكلام يشغل القلب، وشَرَهُ القلوب إلى الكلام عظيم، فإنَّه يستروح إليه، ويستثقل التجرد للذكر والفكر، فيستريح إليه، فالصمت يلقِّح العقل، ويجلب الورع، ويعلم التقوى)[٤].

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٩٣/٢٥).
(٢) ((المنتقى شرح الموطأ)) (٢٤٢/٧).
(٣) ((عمدة القاري شرح صحيح البخاري)) (٢٩١/١٦).
(٤) ((إحياء علوم الدين)) (٧٦/٣).

نماذج في الصمت:

- **صمت النبي صلى الله عليه وسلم:**

كان النبي صلى الله عليه وسلم طويل الصمت، كثير الذكر، قليل الضحك، فعن سماك بن حرب، قال: ((قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم كان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشيء من أمورهم، فيضحكون، وربما يتبسم))(١).

- **نماذج من صمت الصحابة:**

- (عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اطلع على أبي بكر رضي الله عنه، وهو يمدُّ لسانه فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: إن هذا أوردني الموارد، إنَّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ((ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدَّته))(٢).

- (وقال ابن بريدة: رأيت ابن عباس آخذًا بلسانه، وهو يقول: ويحك قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنَّك ستندم، قال: فقيل له: يا ابن عباس، لم تقول هذا؟ قال: إنه بلغني أنَّ الإنسان -أراه قال- ليس على شيء من جسده أشدُّ حنقًا أو غيظًا يوم القيامة منه على لسانه إلا ما

---

(١) رواه أحمد (٨٦/٥) (٢٠٨٢٩)،والطيالسي (١٢٩/٢) (٨٠٨) والطبراني في ((الأوسط)) (١٢٠/٧) (٧٠٣١). صححه ابن تيمية في ((الجواب الصحيح)) (٤٧٤/٥)، وحسنه ابن حجر في ((نتائج الأفكار)) (٣٠٠/١)، والألباني في ((صحيح الجامع)) (٤٨٢٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص٥٠)، وأبو يعلى (١٧/١) (٥)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢٤/٧) (٤٥٩٦). وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٥٣٥): صحيح الإسناد على شرط البخاري.

قال به خيرًا، أو أملى به خيرًا)[١].

- (عن خالد بن سمير قال: كان عمار بن ياسر طويل الصمت)[٢].

- و(دخلوا على بعض الصحابة في مرضه ووجهه يتهلل، فسألوه عن سبب تهلل وجهه، فقال: ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي سليمًا للمسلمين)[٣].

- **نماذج من صمت السلف:**

- (قال عمرو بن قيس الملائي: مرَّ رجل بلقمان والناس عنده، فقال له: ألست عبد بني فلان؟ قال بلى، قال: الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا؟ قال: بلى، فقال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال صدق الحديث، وطول السكوت عما لا يعنيني)[٤].

- وقال الفضيل بن عياض: كان بعض أصحابنا يحفظ كلامه من الجمعة إلى الجمعة)[٥].

- (وكان أعرابي يجالس الشعبي ويطيل الصمت، فقال له الشعبي يومًا: ألا تتكلم فقال: أسكت فأسلم وأسمع فأعلم؛ إنَّ حظَّ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره)[٦].

---

(١) رواه أحمد في ((فضائل الصحابة)) (٢/٩٥٢)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (١/٣٢٧)، والفاكهي في ((أخبار مكة)) (١/١٧٨).

(٢) رواه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١/١٤٢).

(٣) رواه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٣/٥٥٧) من حديث زيد بن أسلم.

(٤) ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (ص ٢٩٣).

(٥) ((صلاح الأمة في علو الهمة)) لسيد العفاني (٥/٣٧٥).

(٦) ((وفيات الأعيان)) لابن خلكان (٣/١٤).

- وقال محارب: (صحبنا القاسم بن عبد الرحمن فغلبنا بطول الصمت)[١].

- وقال الأعمش عن إبراهيم قال: (كانوا يجلسون فأطولهم سكوتًا: أفضلهم في أنفسهم)[٢].

- **نماذج من صمت العلماء:**

- عن أبي إسحاق الفزاري قال: (كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يطيل السكوت؛ فإذا تكلم ربما انبسط قال: فأطال ذات يوم السكوت فقلت: لو تكلمت؟ فقال: الكلام على أربعة وجوه: فمن الكلام كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته، والفضل في هذا السلامة منه، ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته، فأقلُّ ما لك في تركه خفة المؤنة على بدنك ولسانك، ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره، قال خلف: فقلت لأبي إسحاق: أراه قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام؟ قال: نعم)[٣].

- و(قال إبراهيم التيمي: أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين سنة، فلم يتكلم بكلام لا يصعد)[٤].

- (وقيل: ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة، وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسًا وقلمًا، فكلُّ ما تكلم به كتبه، ثم يحاسب نفسه عند المساء)[٥].

---

(١) ((صلاح الأمة في علو الهمة)) لسيد العفاني (٥/٣٧٦).
(٢) ((المصدر السابق)).
(٣) ((الصمت)) لابن أبي الدنيا (ص ٦٧).
(٤) ((صلاح الأمة في علو الهمة)) لسيد العفاني (٥/٣٧٤).
(٥) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/١١١).

- (قال إسماعيل بن أمية: كان عطاء: يطيل الصمت، فإذا تكلم يخيل إلينا أنه يؤيد)[١].

- (قال خارجة بن مصعب: صحبت ابن عون ثنتي عشرة سنة، فما رأيته تكلم بكلمة كتبها عليه الكرام الكاتبون)[٢].

- (قال مورِّق العجلي: أمرٌ أنا في طلبه منذ عشر سنين لم أقدر عليه، ولست بتارك طلبه أبدًا، قال: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: الصمت عما لا يعنيني)[٣].

وصايا في الصمت:

- (قال رجل لسلمان رضي الله عنه: أوصني. قال: لا تتكلم. قال: وكيف يصبر رجل على أن لا يتكلم؟ قال: فإن كنت لا تصبر عن الكلام، فلا تتكلم إلا بخير أو اصمت)[٤].

- و(قال رجل لبعض العارفين: أوصني قال: اجعل لدينك غلافًا كغلاف المصحف؛ لئلا يدنسه، قال: وما غلاف الدين؟ قال: ترك الكلام إلا فيما لا بد منه، وترك طلب الدنيا إلا ما لا بد منه، وترك مخالطة الناس إلا فيما لا بد منه)[٥].

- وعن عقيل بن مدرك يرفعه إلى أبي سعيد (أن رجلًا أتاه، فقال: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله، وعليك بالصمت، فإنك به تغلب الشيطان)[٦].

---

(١) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم الأصبهاني (٣/٣١٣).
(٢) ((صلاح الأمة في علو الهمة)) لسيد العفاني (٥/٣٧٧).
(٣) ((المصنف)) لابن أبي شيبة (٧/١٨٠).
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص ٦٥).
(٥) ((فيض القدير)) للمناوي (٣/٨٢).
(٦) ((الزهد)) لابن أبي عاصم (ص ٣٣).

- و(عن أبي الذيَّال، قال: تعلَّم الصمت كما تعلم الكلام، فإن يكن الكلام يهديك، فإن الصمت يقيك، ألا في الصمت خصلتان: تدفع به جهل من هو أجهل منك، وتعلم به من علم من هو أعلم منك)[١].

- وعن حبيب بن عيسى، قال: (كان ابن مريم يقول: ابن آدم الضعيف؛ علم نفسك الصمت كما تعلمها الكلام، وكن مكينًا[٢] حتى تسمع، ولا تكن مضحاكًا في غير عجبٍ، ولا هشًّا في غير أربٍ[٣].)[٤].

- (وقال لقمان لابنه: يا بني، إن غلبت على الكلام، فلا تغلب على الصمت، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، إني ندمت على الكلام مرارًا، ولم أندم على الصمت مرة واحدة)[٥].

- و(تكلم أربعة من حكماء الملوك بأربع كلمات كأنها رمية عن قوس: فقال ملك الروم: أفضل علم العلماء السكوت. وقال ملك الفرس: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها. وقال ملك الهند: أنا على ردِّ ما لم أقل أقدر مني على ردِّ ما قلت. وقال ملك الصين: ندمت على الكلام، ولم أندم على السكوت)[٦].

- (وقد قال بعض الصالحين: الزم الصمت يكسبك صفو المحبة، ويأمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفك مؤنة الاعتذار. وقيل: الصمت آية الفضل، وثمرة العقل، وزين العلم، وعون الحلم؛ فالزمه تلزمك السلامة)[٧].

---

(١) ((الزهد)) لابن أبي عاصم (ص ٥١).
(٢) المكانة المنزلة. وفلان مكين عند فلان بين المكانة. والمكانة: الموضع. ((لسان العرب)) (١٣/٣٦).
(٣) أرب: الإربة والإرب: الحاجة. ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٢٠٨).
(٤) ((الجامع في الحديث)) لابن وهب (ص ٥٣٢).
(٥) ((الظرف والظرفاء)) لأبي الطيب الوشاء (ص ٧-٨).
(٦) ((تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك)) للماوردي (ص ٥٩).
(٧) ((صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال)) لحسين المهدي (ص ٤٩٦).

صوم الصمت:

- وهو الامتناع عن الكلام فلا يتكلم يومه وليلته، وهذا كان في الجاهلية، ومنعه الإسلام:

- (قال الخطابي في شرح حديث: ((لا يتم بعد احتلام ولا صمت يوم إلى الليل)):[١] كان من نسك أهل الجاهلية الصمت، فكان أحدهم يعتكف اليوم والليلة ويصمت، فنهوا عن ذلك، وأُمروا بالنطق بالخير)[٢].

- (قال ابن الهمام: يُكره صوم الصمت، وهو أن يصوم ولا يتكلم، يعني يلتزم عدم الكلام، بل يتكلم بخير وبحاجة)[٣].

---

(١) رواه رواه أبو داود (٢٨٧٣) ، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٩٥/١) (٢٩٠)، والبيهقي (٥٧/٦) (١١٦٤٢). من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
قال ابن القطان في ((الوهم والإيهام)) (٥٣٦/٣): فيه علل ، وحسن إسناده النووي في ((المجموع)) (٣٧٦/٦)، وقال ابن كثير في ((إرشاد الفقيه)) (٥١/٢): إسناده غريب، وقال ابن الملقن في ((البدر المنير)) (٣٢٠/٧): إسناده يقرب من الحسن لولا عبد الله بن خالد، ووثق رجاله الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٣٣٧/٤)، وقال الشوكاني في ((نيل الأوطار)) (٣٧٠/٥): روي نحوه بسند لا بأس به، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (٤٦٣/١)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٢٨٧٣).
ورواه من طريق آخر عن علي رضي الله عنه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢٢٢/٧) (٧٣٣١).
قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٢٦٥/٤): فيه مطرف بن مازن وهو ضعيف، وصححه الألباني بطرقه وشواهده في ((إرواء الغليل)) (٨٠/٥).
ورواه من طريق آخر عن علي رضي الله عنه عبدالرزاق في ((المصنف)) (٤١٦/٦).
قال ابن عبدالبر في ((الاستذكار)) (١٩٧/٥): ثابت صحيح، وقال البغوي في ((شرح السنة)) (١٤٦/٥): فيه جويبر بن سعيد البلخي، ضعفه يحيى بن سعيد القطان ويحيى بن معين ، وصححه الألباني بطرقه وشواهده في ((إرواء الغليل)) (٨٠/٥).
والحديث روي من طرق عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٥٠/٧).

(٣) ((شرح مسند أبي حنيفة)) لأبي الحسن الهروي (ص ٤٨٨).

صمت العيي:

- (كان رجل يجلس إلى أبي يوسف فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تتكلم؟ فقال: بلى، متى يفطر الصائم. قال: إذا غابت الشمس، قال: فإن لم تغِبْ إلى نصف الليل؟ قال: فضحك أبو يوسف، وقال: أصبت في صمتك، وأخطأت أنا في استدعاء نطقك، ثم تمثل:

عجبت لإزراء العييِّ بنفسه وصمت الذي قد كان للقول أعلما

وفي الصمت ستر للعييِّ، وإنما صحيفة لبِّ المرء أن يتكلما)[1]

حكم وأمثال في الصمت:

- (الصمت أخفى للنقيصة، وأنفى للغميصة)[2].
- (إذا فاتك الأدب فالزم الصمت)[3].
- (إنَّ في الصمت لحكمًا)[4].
- (الندم على السكوت خير من الندم على القول)[5].
- (الزم الصمت إذا لم تسأل)[6].
- (الصمت يكسب المحبة)[7].
- (الصمت زين العاقل، وستر الجاهل)[8].

---

(١) ((تاريخ بغداد وذيوله)) للخطيب البغدادي (٢٥١/١٤).
(٢) ((ربيع الأبرار)) للزمخشري (١٣٤/٢).
(٣) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (١٩٢/٢).
(٤) ((الأمثال المولدة)) لأبي بكر الخوارزمي (ص ١٠١).
(٥) ((الأمثال)) لأبي عبيد (ص ٤٤).
(٦) ((الأمثال المولدة)) لأبي بكر الخوارزمي (ص ٢٠٢).
(٧) ((جمهرة الأمثال)) لأبي هلال العسكري (٢٠٢/١).
(٨) ((ربيع الأبرار)) للزمخشري (١٤٢/٢).

- (الصمت في غير فكرة سهو... والقول في غير حكمة لغو)[1].

- (الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل)[2].

- وقال لقمان لابنه: (يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك)[3].

- (وقالوا: بقدر ما يصمت اللسان يعمر الجنان، وبقدر ما كان يتكلم اللسان يخرب الجنان.

وقالوا أيضًا: إذا كثر العلم قلَّ الكلام، وإذا قلَّ العلم كثر الكلام.

وقالوا أيضًا: من عرف الله كَلَّ لسانه.

وقيل لبعض العلماء: هل العلم فيما سلف أكثر، أو اليوم أكثر؟ قال: العلم فيما سلف أكثر، والكلام اليوم أكثر)[4].

- (خير الخلال حفظ اللسان) يضرب في الحث على الصمت[5].

- (قولهم: سكت ألفًا ونطق خلفًا: يضرب مثلًا للرجل يطيل الصمت ثم يتكلم بالخطأ. والخلف الرديء من القول. وكان للأحنف بن قيس جليس طويل الصمت فاستنطقه يومًا؛ فقال: أتقدر يا أبا بحر أن تمشي على شرف المسجد، فقال الأحنف: سكت ألفًا، ونطق خلفًا)[6].

---

(١) ((السحر الحلال في الحكم والأمثال)) لأحمد الهاشمي (ص ١١٢).
(٢) منسوب لعمرو بن العاص رضي الله عنه. ((ربيع الأبرار)) للزمخشري (٢/١٣٦).
(٣) ((المصدر السابق)).
(٤) ((البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)) لأبي العباس الفاسي (١/٥٦٠).
(٥) ((مجمع الأمثال)) للميداني (١/٢٤٢).
(٦) ((جمهرة الأمثال)) لأبي هلال العسكري (١/٥٠٩-٥١٠).

-(ربَّ كلمة سلبت نعمة) يضرب في اغتنام الصمت[١].

- (الصمت حُكم[٢] وقليل فاعله) يقال: إن لقمان الحكيم دخل على داود عليهما السلام وهو يصنع درعًا، فهمَّ لقمان أن يسأله عما يصنع، ثم أمسك ولم يسأل حتى تمَّ داود الدرع، وقام فلبسها، وقال: نعم أداة الحرب، فقال لقمان: الصمت حُكم وقليل فاعله[٣].

- (مُخْرَنْبِقٌ لينباع): والمعنى: (مطرق وساكت ليثب إذا أصاب فرصة، والمعنى إنه ساكت لداهية يريدها، ويضرب في الرجل يطيل الصمت حتى يحسب مغفلًا وهو ذو نكراء)[٤].

الصمت في واحة الشعر:

قال الشافعي:

قالوا سكتَّ وقد خُوصِمتَ قلتُ لهم ... إنَّ الجواب لِبابِ الشرِّ مفتاحُ

والصَّمت عن جاهل أو أحمقٍ شرف ... وفيه أيضًا لِصون العِرض إصلاحُ

أمَا ترَى الأُسود تُخشَى وهي صامتة ... والكلب يُخسَى[٥] لعمري وهو نبَّاحُ[٦]

وقال أيضًا:

وجدتُ سكوتي متجرًا فلزمتُه ... إذا لم أجدْ ربحًا فلستُ بخاسرِ

وما الصَّمتُ إلَّا في الرجالِ متاجر ... وتاجره يعلو على كلِّ تاجرِ[٧]

(١) ((مجمع الأمثال)) للميداني (١/٣٠٥).

(٢) الحكم: العلم والفقه. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ١٤٠)

(٣) ((مجمع الأمثال)) للميداني (١/٤٠٢).

(٤) ((زهر الأكم في الأمثال والحكم)) للحسن بن مسعود (١/٤٠٢).

(٥) يطرد. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٦٥).

(٦) ((نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن)) للشرواني (ص ٢١٧).

(٧) ((حسن السمت في الصمت)) للسيوطي (ص ٢٧).

وقال آخر:

قالوا نراك تطيلُ الصَّمت قلتُ لهم ... ما طولُ صمتي مِن عِيٍّ[1] ولا خرسِ

الصمتُ أحمدُ في الحالَين عاقبةً ... عندي وأحسنُ بي من منطق شكسِ[2]

قالوا فأنت مصيبٌ لستَ ذا خطأ ... فقلتُ هاتوا أروني وجهَ معتبسِ

أأفرشُ البرَّ فيمَن ليس يعرفُه؟ ... أم أنثرُ الدرَّ بين العُمْي في الغَلَسِ[3]

وقال آخر:

متى تُطبق على شفتيك تَسلمْ ... وإن تفتحْهما فقلِ الصَّوابا

فما أحدٌ يُطيل الصَّمت إلَّا ... سيأمنُ أن يُذمَّ وأن يُعابا

فقلْ خيرًا أو اسكتْ عن كثيرٍ ... مِن القول المحلِّ بك العقابا[4]

وأجاد من قال:

مهلًا سُليمَى أقلِّي اللوم أو فلُمِي ... مَن أقعدته صروفُ الدَّهر لم يقمِ

حظِّي يقصر بي عن كلِّ مكرُمةٍ ... ولا تقصر بي عن نيلها هممِي

سألزم الصمت ما دام الزمان كذا ... وأمنع الدهرَ مِن نطق اللسان فَمِي

إن لامني لائمٌ في الصَّمت قلتُ له ... حبسُ الفتى نطقَه حرزٌ من الندمِ[5]

وقال أبو جعفر القرشي:

استرِ العِيَّ[6] ما استطعتَ بصمت ... إنَّ في الصَّمت راحة للصَّمُوتِ

---

(١) العي: الجهل. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/ ١١٣).

(٢) سيئ. انظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ١١٢).

(٣) ((حسن السمت في الصمت)) للسيوطي (ص ١٠٢).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ١١٤)، ((لباب الآداب)) لأسامة بن منقذ (ص ٢٧٧) .

(٥) ((حسن السمت في الصمت)) للسيوطي (ص ١١٨).

(٦) الجهل. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/ ١١٣).

واجعلِ الصَّمت إن عَيِيت جوابًا ... ربَّ قولٍ جوابُه في السُّكوتِ[1]

وقال آخر:

إن كان يعجبك السُّكوت فإنَّه ... قد كان يُعجبُ قبلك الأخيارَ

ولئن ندمتُ على سكوتٍ مرةً ... فلقد ندمتُ على الكلام مِرارا

إنَّ السُّكوت سلامةٌ ولربَّما ... زرع الكلام عداوة وضرارا

وإذا تقرَّب خاسر مِن خاسر ... زادَا بذاك خسارةً وتَبارا[2]

وأنشد الأبرش:

ما ذلَّ ذو صمت وما مِن مُكثرٍ ... إلَّا يَزلُّ وما يُعاب صَمُوتُ

إن كان مَنطقُ ناطقٍ مِن فضَّةٍ ... فالصَّمت دُرٌّ زانه الياقوتُ[3]

وقال آخر:

وكن رزينًا طويل الصمت ذا فكر ... فإن نطقت فلا تكثر من الخطبِ

ولا تجبْ سائلًا من غير تروية ... وبالذي عنه لم تُسألْ فلا تُجِبِ[4]

قال أحيحة بن الجلاح:

والصَّمت أجملُ بالفتَى ... ما لم يكنْ عِيٌّ يَشينُه

والقولُ ذو خطَلٍ[5] إذا ... ما لم يكنْ لبٌّ يعينُه[6]

(١) ((الصمت)) لابن أبي الدنيا (ص ٣٠٠)، ((الظرف والظرفاء)) للوشاء (ص ٧).

(٢) ((حسن السمت في الصمت)) للسيوطي (ص ١١٥).

(٣) ((روضة العقلاء)) للدارمي (ص ٤٤).

(٤) ((حسن السمت في الصمت)) للسيوطي (ص ١١٤).

(٥) الخطل: الكلام الفاسد الكثير. ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (ص ٩٩٣).

(٦) ((حسن السمت في الصمت)) للسيوطي (ص ١١٤).

وقال مخرز بن علقمة:

لقد وارى المقابرُ مِن شريكٍ كثيرَ تحلُّمٍ وقليلَ عابِ

صموتًا في المجالس غيرَ عِيٍّ جديرًا حين ينطقُ بالصَّوابِ[(١)]

وقال مكي بن سوادة:

تسلَّمَ بالسكوتِ مِن العيوبِ فكان السَّكتُ أجلبَ للعيوبِ

ويرتجلُ الكلامَ وليس فيه سِوَى الهَذَيانِ مِن حشد الخطيبِ[(٢)]

وقال آخر:

عجبتُ لإدلال العَيِيِّ بنفسه وصمتِ الذي كان بالقول أعلما

وفي الصَّمتِ سترٌ للعييِّ وإنما صحيفةُ لبِّ المرءِ أن يتكلَّما[(٣)]

وقال أحد الشعراء:

أرَى الصَّمت أدَنى لبعض الصواب وبعض التكلُّم أدنى لعِيٍّ[(٤)]

وقال أبو العتاهية:

إذا كنت عن أن تحسن الصَّمت عاجزًا فأنت عن الإبلاغ في القول أعجزُ

يخوض أناس في المقال ليُوجزوا ولَلصمتُ عن بعض المقالات أوجزُ[(٥)]

---

(١) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (١/ ٢٩).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) ((المصدر السابق)) (١/١٨٩).

(٤) ((عيون الأخبار)) للدينوري (٢/١٩٠).

(٥) ((الظرف والظرفاء)) لأبي الطيب الوشاء (ص ٦).

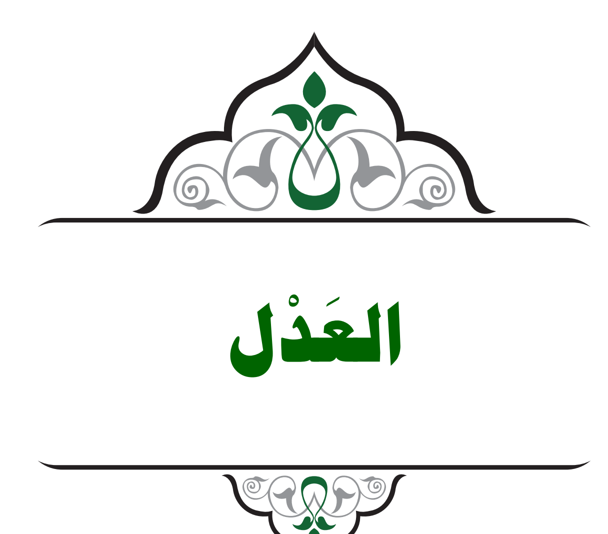
وقال آخر:

قد أفلح الصَّامتُ السَّكوت كلامُ راعي الكلامِ قوتُ

ما كلُّ نطقٍ له جوابُ جوابُ ما يُكرهُ السُّكوتُ[١]



(١) ((تاريخ بغداد وذيوله)) (٢/ ٣٤).



العَدْل

العَدْل

معنى العدل لغةً واصطلاحًا:

• معنى العدل لغةً:

العدل خلاف الجور، وهو القصد في الأمور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، مِن عَدَلَ يَعْدِلُ فهو عادل من عُدولٍ وعَدْلٍ، يقال: عَدَلَ عليه في القضية فهو عادِلٌ. وبسط الوالي عَدْلَهُ[١].

• معنى العدل اصطلاحًا:

العدل هو:(أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه)[٢].

وقيل هو: (عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا)[٣].

وقيل هو: (استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير)[٤].

الفرق بين العدل وبعض الصفات:

• الفرق بين العدل والقسط:

(القسط: هو العدل البيِّن الظاهر، ومنه سمي المكيال قسطًا، والميزان قسطًا؛ لأنه يصور لك العدل في الوزن حتى تراه ظاهرًا، وقد يكون من العدل ما

---

(١) ((الصحاح في اللغة)) للجوهري (٥/١٧٦٠)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/٤٣٠). ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (ص١٠٣٠)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/٣٩٦).

(٢) ((الأخلاق والسير)) لابن حزم (ص ٨١).

(٣) ((التعريفات)) للجرجاني (ص ١٤٧).

(٤) ((تهذيب الأخلاق)) المنسوب للجاحظ (ص ٢٨).

يخفى، ولهذا قلنا: إن القسط هو النصيب الذي بينت وجوهه، وتقسط القوم الشيء تقاسموا بالقسط)[1].

- **الفرق بين العدل والإنصاف:**

(الإنصاف: إعطاء النصف، والعدل يكون في ذلك وفي غيره، ألا ترى أنَّ السارق إذا قُطع قيل: إنه عدل عليه. ولا يقال: إنه أنصف، وأصل الإنصاف أن تعطيه نصف الشيء، وتأخذ نصفه من غير زيادة ولا نقصان، وربما قيل: أطلب منك النصف. كما يقال: أطلب منك الإنصاف. ثم استعمل في غير ذلك مما ذكرناه، ويقال: أنصف الشيء. إذا بلغ نصف نفسه، ونصف غيره إذا بلغ نصفه)[2].

أهمية العدل:

أرسل الله رسله وأنزل معهم ميزان العدل؛ ليقوم الناس بالقسط، وما ذلك إلا لأهميته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

ووردت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تأمر بالعدل وترغب فيه، وتمدح من يقوم به.

يقول ابن القيم: (... إن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق كان؛ فثم شرع الله ودينه، والله سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخصَّ طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء، ثم ينفي

---

(١) ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (ص ٤٢٨).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٨٠).

ما هو أظهر منها وأقوى دلالة وأبين أمارة فلا يجعله منها، ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها، بل قد بيَّن سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له)[1].

الترغيب في العدل:

أولًا: في القرآن الكريم

أمر الله بإقامة العدل وحثَّ عليه، ومدح من قام به، وذلك في آيات كثيرة منها:

١- آيات فيها الأمر بالعدل:

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

قال السعدي: (فالعدل الذي أمر الله به، يشمل العدل في حقِّه، وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة؛ بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقِّه وحقِّ عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كلُّ والٍ ما عليه تحت ولايته، سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي.

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر

---

(١) ((الطرق الحكمية)) (ص ١٩).

المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقًّا، ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب)[١].

- وقال عزَّ مِن قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥].

يقول ابن كثير: (يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوَّامين بالقسط، أي: بالعدل، فلا يعدلوا عنه يمينًا ولا شمالًا، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه.

وقوله: ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ كما قال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ﴾. أي: ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقًّا، خالية من التحريف والتبديل والكتمان؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾. أي: اشهد الحقَّ، ولو عاد ضررها عليك، وإذا سُئِلتَ عن الأمر فقل الحقَّ فيه، وإن كان مضرة عليك، فإنَّ الله سيجعل لمن أطاعه فرجًا ومخرجًا من كلِّ أمر يضيق عليه)[٢].

- وقال سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥].

(١) ((تفسير الكريم الرحمن)) (ص ٤٤٧).
(٢) ((تفسير القرآن العظيم)) (٢/٤٣٣).

يقول تعالى ذكره: (وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعًا بالحق الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه... وعن قتادة، قوله: ((﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قال: أمر نبي الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه))[1]. والعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يصدق الله الصادق، ويكذب الكاذب، وبالعدل يرد المعتدي ويوبخه)[2].

٢- آيات فيها مدح من يقوم بالعدل:

- قال سبحانه: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

قال ابن كثير: (يقول تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ ﴾ أي: ومن الأمم ﴿أُمَّةٌ﴾ قائمة بالحق، قولًا وعملًا ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾ يقولونه ويدعون إليه، ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ يعملون ويقضون.

وقد جاء في الآثار: أنَّ المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية، هي هذه الأمة المحمدية.

قال سعيد، عن قتادة في تفسير هذه الآية: بلغنا أنَّ نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قرأ هذه الآية: هذه لكم، وقد أُعطي القوم بين أيديكم مثلها: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[3] [الأعراف: ١٥٩])[4].

---

(١) رواه الطبري في ((جامع البيان)) (٢١/٥١٧).
(٢) ((المصدر السابق)).
(٣) رواه الطبري في ((جامع البيان)) (١٣/٢٨٦).
(٤) ((تفسير القرآن العظيم)) (٣/٥١٦).

- وقال عزَّ مِن قائل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦].

(يقول الله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ يعني: هل يستوي هذا الأبكم الكلُّ على مولاه، الذي لا يأتي بخير حيث توجَّه، ومن هو ناطق متكلم، يأمر بالحقِّ، ويدعو إليه، وهو الله الواحد القهار، الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته، يقول: لا يستوي هو تعالى ذكره، والصنم الذي صفته ما وصف. وقوله ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦] يقول: وهو مع أمره بالعدل، على طريق من الحقِّ في دعائه إلى العدل، وأمره به مستقيم، لا يعوج عن الحقِّ، ولا يزول عنه)[(١)].

ثانيًا: في السنة النبوية

لقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم العدل، ورغَّب فيه، وقد وردت الأحاديث تدلُّ على تطبيقه قواعد العدل، وإرسائه لمعالمه منها:

- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: ((بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكارهنا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالعدل أين كنَّا، لا نخاف في الله لومة لائم))[(٢)].

- وقال صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ المقسطين يوم القيامة على منابر من

---

(١) ((جامع البيان)) للطبري (١٧/٢٦٢).

(٢) رواه النسائي (٤١٥٣)، وأحمد (٣/٤٤١) (١٥٦٩١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. وصححه ابن عبد البر في ((التمهيد)) (٢٣/٢٧٢)، وابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (٤/٩١)، والألباني في ((صحيح النسائي)) (٤١٦٤).

نور، عن يمين الرحمن، -وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا[١].))[٢].

قال ابن عثيمين: (فالعدل واجب في كلِّ شيء، لكنه في حق ولاة الأمور آكد وأولى وأعظم؛ لأنَّ الظلم إذا وقع من ولاة الأمور حصلت الفوضى والكراهة لهم، حيث لم يعدلوا)[٣].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سبعة يظلُّهم الله تعالى في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلَّق في المساجد، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه))[٤].

قال ابن رجب: (وأول هذه السبعة: الإمام العادل: وهو أقرب الناس من الله يوم القيامة، وهو على منبر من نور على يمين الرحمن، وذلك جزاء لمخالفته الهوى، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مع قدرته على بلوغ غرضه من ذلك؛ فإنَّ الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، وهذا أنفع الخلق لعباد الله، فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها، وقد رُوي أنَّه ظلُّ الله في الأرض؛ لأنَّ الخلق كلَّهم يستظلون بظلِّه، فإذا عدل فيهم أظلَّه الله في ظلِّه)[٥].

(١) أي: كانت لهم عليه ولاية. ((شرح النووي على مسلم)) (١٢/ ٢١١).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٧).

(٣) ((شرح رياض الصالحين)) (٣/٦٤١).

(٤) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٥) ((فتح الباري)) (٤/٥٩).

أقوال السلف والعلماء في العدل:

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنَّ الله إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول؛ لتحيا القلوب، فإنَّ القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله، من علم شيئًا فلينفع به، إنَّ للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين، وأما التباشير فالرحمة، وقد جعل الله لكل أمر بابًا، ويسَّر لكلِّ باب مفتاحًا، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت ،والاستعداد بتقديم الأموال، والزهد أخذ الحقِّ من كلِّ أحد قِبَله حقٌّ، والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف، فإن لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء...)[1].

- (وقدم على عمر بن الخطاب رجل من أهل العراق، فقال: لقد جئتك لأمر ما له رأس ولا ذنب. فقال عمر: ما هو؟ قال: شهادات الزور ظهرت بأرضنا. فقال عمر: أو قد كان ذلك؟! قال نعم. فقال عمر: والله لا يؤسر رجل في الإسلام بغير العدول[2].)[3].

- وقال رِبعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس لما سأله: ما جاء بكم؟ فقال: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه

---

(١) رواه الطبري في ((تاريخ الرسل والملوك)) (٤٨٥/٣)، وذكره ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٤٣/٧).

(٢) أي: لا يحبس، والأسر الحبس، أو لا يملك ملك الأسير؛ لإقامة الحقوق عليه إلا بالصحابة الذين جميعهم عدول، وبالعدول من غيرهم، فمن لم يكن صحابيا ولم تعرف عدالته لم تقبل شهادته حتى تعرف عدالته من فسقه. ((شرح الزرقاني على الموطأ)) (٤/ ١٠)

(٣) رواه مالك في ((الموطأ)) (٧٢٠/٢).

حتى نفيء إلى موعود الله...)[١].

- وقال عمرو بن العاص: (لا سلطان إلا بالرجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل)[٢].

- وقال ميمون بن مهران: (سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: لو أقمت فيكم خمسين عامًا ما استكملت فيكم العدل، إني لأريد الأمر وأخاف أن لا تحمله قلوبكم فأخرج معه طمعًا من الدنيا؛ فإن أنكرت قلوبكم هذا سكنت إلى هذا)[٣].

- (وخطب سعيد بن سويد بحمص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس، إنَّ للإسلام حائطًا منيعًا، وبابًا وثيقًا، فحائط الإسلام الحقُّ، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتدَّ السلطان، وليست شدة السلطان قتلًا بالسيف، ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذًا بالعدل)[٤].

- وقال ابن حزم: (أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه، وعلى الحقِّ وإيثاره)[٥].

- وقال ابن تيمية:(العدل نظام كلِّ شيء، فإذا أُقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم

---

(١) رواه الطبري في ((تاريخ الرسل والملوك)) (٣/٥٢٠)، وذكره ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٧/٣٩).

(٢) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١/٣٣).

(٣) رواه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٥/١٨١)، وذكره الذهبي في ((تاريخ الإسلام)) (٧/١٩٧).

(٤) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١/٢٧).

(٥) ((الأخلاق والسير)) (ص ٩٠).

تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة)[١].

- وقال أيضا: (وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام)[٢].

- وقال ابن القيم: (ومن له ذوق في الشريعة، واطلاع على كمالها، وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق، وأنَّه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أنَّ السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها، وأنَّ من أحاط علمًا بمقاصدها، ووضعها موضعها، وحسن فهمه فيها لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة.

فإنَّ السياسة نوعان: سياسة ظالمة، فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة تخرج الحقَّ من الظالم الفاجر، فهي من الشريعة علمها من علمها، وجهلها من جهلها)[٣].

فوائد العدل:

١- **بالعدل يستتب الأمن في البلاد**، وتحصل الطمأنينة في النفوس، ويشعر الناس بالاستقرار، وبذلك يُقضى على المشكلات الاجتماعية والاضطرابات التي تحدث في الدول، بسبب الظلم.

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (١٤٦/٢٨).
(٢) ((المصدر السابق)) (١٤٦/٢٨).
(٣) ((الطرق الحكمية)) (ص ٥).

٢- بالعدل يعم الخير في البلاد:

فالعدل سبب في حصول الخير والبركة إذا كان منتشرًا بين الولاة، وبين أفراد المجتمع، يقول ابن الأزرق: (إنَّ نية الظلم كافية في نقص بركات العمارة فعن وهب بن منبه قال: إذا هم الولي بالعدل أدخل الله البركات في أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق وإذا هم بالجور أدخل الله النقص في مملكته حتى في الأسواق والأرزاق)[١].

فقيام العدل في الأرض كالمطر الوابل، بل هو خير من خصب الزمان كما قيل، فمن كلامهم: (سلطان عادل خير من مطر وابل، وقالوا عدل السلطان خير من خصب الزمان، وفي بعض الحكم: ما أمحلت أرض سال عدل السلطان فيها ولا محيت بقعة فاء ظله عليها)[٢].

٣- ظهور رجحان العقل به:

قيل لبعضهم: مَن أرجح الملوك عقلًا، وأكملهم أدبًا وفضلًا؟ قال: من صحب أيامه بالعدل، وتحرَّز جهده من الجور، ولقي الناس بالمجاملة، وعاملهم بالمسألة، ولم يفارق السياسة، مع لين في الحكم، وصلابة في الحقِّ، فلا يأمن الجريء بطشه، ولا يخاف البريء سطوته[٣].

٤- العدل أساس الدول والملك وبه دوامهما:

فبالعدل يدوم الملك، ويستقر الحاكم في حكمه، و(في بعض الحِكم: أحقُّ الناس بدوام الملك وباتصال الولاية، أقسطهم بالعدل في الرعية، وأخفهم عنها

---

(١) ((بدائع السلك)) لابن الأزرق (١/٢٢٧).
(٢) ((المصدر السابق)) (١/٢٣٢).
(٣) ((المصدر السابق)) (١/٢٣١).

كلًّا ومؤونة، ومن أمثالهم: من جعل العدل عُدَّة طالت به المدة)[1].

٥- من قام بالعدل نال محبة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]

٦- بالعدل يحصل الوئام بين الحاكم والمحكوم.

٧- بالعدل يسود في المجتمع التعاون والتماسك.

أقسام العدل:

(والعدل ضربان:

١- مطلق: يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخًا، ولا يوصف بالاعتداء بوجه، نحو: الإحسان إلى من أحسن إليك، وكفِّ الأذية عمن كفَّ أذاه عنك.

٢- وعدل يعرف كونه عدلًا بالشرع، ويمكن أن يكون منسوخًا في بعض الأزمنة، كالقصاص وأروش الجنايات، وأصل مال المرتد. ولذلك قال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٩٤]، وقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى:٤٠]، فسمي اعتداء وسيئة، وهذا النحو هو المعني بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]، فإنَّ العدل هو المساواة في المكافأة، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشرَّ بأقلَّ منه)[2].

---

(١) ((بدائع السلك)) لابن الأزرق (١/٢٣١).

(٢) ((مفردات ألفاظ القرآن)) للراغب الأصفهاني (ص٥٥٢).

صور العدل:

العدل له صور كثيرة، تدخل في جميع مناحي الحياة، نقتصر على ذكر أهمها، فمنها:

١- عدل الوالي:

والوالي سواء كانت ولايته ولاية خاصة أو عامة يجب عليه أن يعدل بين الرعية. وأن يستعين بأهل العدل.

قال ابن تيمية، بعد أن ذكر عموم الولايات وخصوصها، كولاية القضاء، وولاية الحرب، والحسبة، وولاية المال قال: (وجميع هذه الولايات هي في الأصل ولاية شرعية ومناصب دينية، فأيُّ مَن عدل في ولاية من هذه الولايات فساسها بعلم وعدل، وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان- فهو من الأبرار الصالحين، وأيُّ مَن ظلم وعمل فيها بجهل، فهو من الفجار الظالمين)[١].

وقال أيضًا: (يجب على كلِّ ولي أمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل، وإذا تعذَّر ذلك استعان بالأمثل فالأمثل)[٢].

٢- العدل في الحكم بين الناس:

سواء كان قاضيًا، أو صاحب منصب، أو كان مصلحًا بين الناس، وذلك بإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ [النساء:٥٨].

٣- العدل مع الزوجة أو بين الزوجات:

بأن يعامل الزوج زوجته بالعدل سواء في النفقة والسكنى والمبيت، وإن كن

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٢٨/٦٨).

(٢) ((المصدر السابق)).

أكثر من واحدة، فيعطي كلًّا منهنَّ بالسوية.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء:٣].

أما إذا كان له ميل قلبيٌّ فقط إلى إحداهن، فهذا لا يدخل في عدم العدل، قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٢٩].

قال ابن بطال: (قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾. أي: لن تطيقوا أيها الرجال أن تسووا بين نسائكم في حبهنَّ بقلوبكم حتى تعدلوا بينهنَّ في ذلك؛ لأنَّ ذلك مما لا تملكونه ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ يعني ولو حرصتم في تسويتكم بينهن في ذلك. قال ابن عباس: لا تستطيع أن تعدل بالشهوة فيما بينهنَّ ولو حرصت. قال ابن المنذر: ودلت هذه الآية أن التسوية بينهنَّ في المحبة غير واجبة)[١].

٤- العدل بين الأبناء:

قال صلى الله عليه وسلم: ((فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم))[٢]. ويكون العدل بين الأولاد في العطية[٣]، والهبة، والوقف، والتسوية بينهم حتى في القُبَل،

(١) ((شرح صحيح البخاري)) (٧/٣٣٦).

(٢) رواه البخاري (٢٥٨٧) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) تنبيه: في حالة النفقة الواجبة يعطي الوالد كل واحد من الأولاد ما يحتاجه، فلو احتاج أحد أبنائه إلى الزواج، زوجه ودفع له المهر؛ لأن الابن لا يستطيع دفع المهر، ولا يلزم أن يعطي =

فعن إبراهيم النخعي قال: (كانوا يستحبون أن يعدل الرجل بين ولده حتى في القُبَل)[1].

٥- العدل في القول:

فلا يقول إلا حقًّا، ولا يشهد بالباطل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ﴾ [النساء:١٣٥].

٦- العدل في الكيل والميزان:

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ﴾ [الأنعام:١٥٢] (يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء، كما توعَّد على تركه في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١ -٦] وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يبخسون المكيال والميزان)[2].

٧- العدل مع غير المسلمين:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا

= الآخرين مثل ما أعطى لهذا الذي احتاج إلى الزواج؛ لأن التزويج من النفقة، كذلك النفقة على الدراسة، إلى غير ذلك. انظر: ((الشرح الممتع)) لابن عثيمين (١١/٨٠).

(١) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٦/٢٣٤).

(٢) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٣/٣٦٤).

يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

(وفي كون العدل مع الأعداء الذين نبغضهم أقرب للتقوى احتمالان:

الأول: أن يكون أقرب إلى كمال التقوى، وذلك لأنَّ كمال التقوى يتطلب أمورًا كثيرة، منها هذا العدل، والأخذ بكلِّ واحد من هذه الأمور يقرب من منطقة التقوى الكاملة.

الثاني: أن يكون أقرب إلى أصل التقوى فعلًا من ترك العدل مع الأعداء، ملاحظين في ذلك مصلحة للإسلام وجماعة المسلمين، وذلك لأنَّه قد يشتبه على ولي الأمر من المسلمين في قضية من القضايا المتعلقة بعدو من أعدائهم، هل التزام سبيل العدل معه أرضى لله؟ أو ظلمه هو أرضى لله باعتباره معاديًا لدين الله؟ وأمام هذا الاشتباه يعطي الله منهج الحل، فيقول: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨] أي: مهما لاحظتم أنَّ ظلمه لا يتنافى مع التقوى، فالعدل معه أقرب للتقوى.

ولا يخفى أن من ثمرات هذا العدل ترغيب أعداء الإسلام بالدخول فيه، والإيمان بأنَّه هو الدين الحقُّ، وكم من حادثة عدل حكم فيها قاضي المسلمين لغير المسلم على المسلم اتباعًا للحق، فكانت السبب في تحبيبه بالإسلام ثم في إسلامه)[1].

نماذج في العدل:

- **نماذج من عدل الرسول صلى الله عليه وسلم:**

الإسلام هو دين العدالة، وإنَّ أمة الإسلام هي أمة الحق والعدل، وقد أقام

---

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن حبنكة الميداني (١/٥٨١).

الرسول صلى الله عليه وسلم العدل، وكان نموذجًا في أعلى درجاته، وأقامه خلفاؤه من بعده.

- فقد ورد ((أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزيَّة حليف بني عدي ابن النجار قال: وهو مستنتل[١] من الصف، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدح في بطنه، وقال: استو يا سواد. فقال: يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالعدل، فأقدني. قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: استقد. قال: يا رسول الله، إنَّك طعنتني، وليس عليَّ قميص. قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، وقال: استقد[٢] قال: فاعتنقه، وقبَّل بطنه، وقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، حضرني ما ترى، ولم آمن القتل، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بخير))[٣].

- وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ((أنَّ قريشًا أهمَّهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلِّم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلوَّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟! فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله.

---

(١) استنتل من الصف إذا تقدم أصحابه. ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/ ٦٤٤).

(٢) اقتص. انظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٤/ ١١٩).

(٣) رواه أبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) (٣/١٤٠٤)، قال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٦/٨٠٨): إسناده حسن إن شاء الله تعالى.

فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال أما بعد: فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني –والذي نفسي بيده– لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))[١]. ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقُطعت يدها.

- **نماذج من عدل الصحابة رضي الله عنهم:**

عدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

– عن عطاء: قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالموسم، فإذا اجتمعوا قال:

(أيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم. فمن فعل به غير ذلك فليقم. فما قام أحد إلا رجل واحد قام، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ عاملك فلانا ضربني مائة سوط. قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه. فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك. فقال: أنا لا أُقيد وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه. قال: فدعنا فلنرضه. قال: دونكم فأرضوه. فافتدى منه بمائتي دينار. كل سوط بدينارين)[٢].

– ولما أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه، قال: (إنَّ الذي أدَّى هذا لأمين! قال له رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله يؤدون إليك ما أديت إلى الله تعالى، فإذا رتعت رتعوا)[٣].

(١) رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).
(٢) رواه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٣/٢٩٣) من حديث عطاء.
(٣) رواه البيهقي في ((السنن الكبرى)) (١٣٠٣٣).

عدل علي رضي الله عنه:

- افتقد علي رضي الله عنه درعًا له في يوم من الأيام، ووجده عند يهودي، فقال لليهودي: (الدرع درعي لم أبع ولم أهب، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال: نصير إلى القاضي، فتقدَّم علي فجلس إلى جنب شريح، وقال: لولا أنَّ خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((وأصغروهم من حيث أصغرهم الله)). فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين. فقال: نعم، هذه الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي لم أبع ولم أهب، فقال شريح: إيش تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي. فقال شريح: ألك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم: قَنْبَر والحسن يشهدان أنَّ الدرع درعي. فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب. فقال علي: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة)). فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه، أشهد أنَّ هذا هو الحقُّ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، وأنَّ الدرع درعك)[1].

من أقوال الحكماء في العدل

- قال ابن عبد ربه: (قالت الحكماء: مما يجب على السلطان العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه، وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه؛ فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان. ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف، لا يقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما ولا يدور إلا عليهما، مع ترتيب

---

(١) ذكره السيوطي في ((تاريخ الخلفاء)) (١٤٢) وقال: أخرجه الدراج في جزئه المشهور بسند مجهول عن ميسرة عن شريح القاضي.

الأمور مراتبها وإنزالها منازلها)[١].

- وقيل: (من عمل بالعدل فيمن دونه، رزق العدل ممن فوقه)[٢].

- وقالوا أيضًا: (يوم العدل على الظالم، أشد من يوم الظلم على المظلوم)[٣].

- وقيل: (الملك لا تصلحه إلا الطاعة والرعية لا يصلحها إلا العدل)[٤].

- (وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: كلكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من كان له سيف مسلول، ومال مبذول، وعدل تطمئن إليه القلوب)[٥].

- وقيل: (منهل العدل أصفى من المرآة بعد الصقال، ومن قريحة البليغ الصائب في المقال. ومورد الجور أكدر من هناء الطال، ومن الوعد الممزوج بالمطال)[٦].

- وكما قيل أيضًا: (المنصف يبغض حق أخيه فيولِّيه، والجائر مشغوف به فلا يخلِّيه)[٧].

- (وقال أفلاطون: بالعدل ثبات الأشياء، وبالجور زوالها، لأن المعتدل هو الذي لا يزول.

- وقال الإسكندر: لا ينبغي لمن تمسك بالعدل أن يخاف أحدًا، فقد قيل: إن العدول لا يخافون الله تعالى، أي: لا خوف عليهم منه، إذا اتبعوا رضاه وانتهوا إلى أمره.

---

(١) ((العقد الفريد)) (٢٣/١).
(٢) ((نثر الدر في المحاضرات)) لأبي سعيد الآبي (١٩٥/٤).
(٣) ((ديوان المعاني)) لأبي هلال العسكري (٩٠/٢).
(٤) ((نثر الدر في المحاضرات)) لأبي سعيد الآبي (١٧٥/٤).
(٥) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢٣/١).
(٦) ((نثر الدر في المحاضرات)) لأبي سعيد الآبي (١٧٣/٤).
(٧) ((أطواق الذهب في المواعظ والخطب)) للزمخشري (٢٦).

- وقال ذيو جانس للإسكندر: أيها الملك، عليك بالاعتدال في الأمور، فإن الزيادة عيبٌ، والنقصان عجزٌ.

- وقال الإسكندر لقومٍ من حكماء الهند: أيما أفضل: العدل أو الشجاعة؟ قالوا: إذا استعمل العدل استغني عن الشجاعة)[١].

- (وقال أردشير لابنه: يا بني، إنّ الملك والعدل أخوان لا غنى بأحدهما عن صاحبه فالملك أسٌّ والعدل حارس، وما لم يكن أسٌّ فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع)[٢].

- وقيل: (يُبقي الملك ثلاثة: العدل وحسن التدبير، وفعل الخير)[٣].

- وقيل أيضًا: (عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان)[٤].

العدل في واحة الشعر:

قال ابن حزم:

زمامُ أُصولِ جميع الفضائلِ   عدلٌ وفهمٌ وجُودٌ وباسُ
فمِن هذه رُكِّبت غيرُها فمَن   حازها فهو في الناس راسُ
كذا الرأسُ فيه الأمورُ التي   بإحساسها يُكشفُ الالتباسُ[٥]

وقال الزمخشري: قدم المنصور البصرة قبل الخلافة، فنزل بواصل بن عطاء، فقال: أبيات بلغتني عن سليمان بن يزيد العدوي في العدل، فمرَّ بنا إليه،

(١) ((لباب الآداب)) لأسامة بن منقذ (ص ٥٧).
(٢) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢٣/١).
(٣) ((نظم الآل في الحكم والأمثال)) لعبد الله فكري (ص ١٢).
(٤) ((نثر الدر في المحاضرات)) لأبي سعيد الآبي (١٧٣/٤).
(٥) ((الأخلاق والسير في مداواة النفوس)) (ص ٨٥).

فأشرف عليهم من غرفة، فقال لواصل: من هذا الذي معك؟ قال: عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فقال: رحب على رحب[١]، وقرب إلى قرب، فقال: يحب أن يستمع إلى أبياتك في العدل، فأنشده:

حتَّى متى لا نرَى عدلًا نُسَرُّ به ... ولا نرَى لِوُلاةِ الحقِّ أعوانا

مستمسكين بحقٍّ قائمين به ... إذا تلَّون أهلُ الجوْرِ ألوانا

يا للرجالِ لدَاءٍ لا دواءَ له ... وقائدٍ ذي عمَى يقتادُ عُميانا[٢]

وقال آخر:

أدِّ الأمانةَ والخيانةَ فاجتنبْ ... واعدلْ ولا تظلمْ يطيب المكسبُ[٣]

وقال أبو الفتح البستي:

عليك بالعدلِ إن وُلِّيت مملكةً ... واحذرْ مِن الجوْرِ فيها غايةَ الحذرِ

فالملك يبقَى على عدلِ الكفورِ ولا ... يبقَى مع الجوْرِ في بدْوٍ ولا حَضَرِ[٤]

وقال آخر:

عن العدلِ لا تعدلْ وكنْ متيقِّظًا ... وحكمُك بين النَّاس فليكُ بالقسطِ

وبالرِّفقِ عاملْهم وأحسنْ إليهمُ ... ولا تبدلنَّ وجه الرِّضا منك بالسَّخطِ

وحَلِّ بدُرِّ الحقِّ جِيد نظامِهم ... وراقبْ إله الخلق في الحلِّ والربطِ[٥]

---

(١) الرحب: السعة. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٤١٤).
(٢) ((ربيع الأبرار)) (٣/٣٩١-٣٩٢).
(٣) ((مجموعة القصائد الزهديات)) للسلمان (٢/ ٤٨١).
(٤) ((غرر الخصائص الواضحة)) للوطواط (١/٤٨).
(٥) ((نسيم الصبا)) للحسن بن عمر بن الحسن (ص: ١١٠- ١١١).

فهرس الموضوعات

